بسم الله الرحمن الرحيم

دار العالم الجديد - القاهرة

موسى وفرعون

بين الأسطورية والتاريخية

تأليف

عصام الدين حفني ناصف

مقدمة

بقلم د. حسن ظاظا

عصام الدين حفني ناصف

موسى وفرعون
بين
الأسطورية والتاريخية

مقدمة

بقلم د. حسن ظاظا
أستاذ الدراسات العبرية بكلية الآداب
جامعة الإسكندرية

دار العالم الجديد - القاهرة

٣٢ ش قصر النيل
دور ٦ شقه ١
ت ٥١٣٩٠ — ٨٠٧١٥٢

(الطبعة الأولى يونيه ١٩٧٥)

مقدمة

بقلم : الدكتور حسن ظاظا
أستاذ الدراسات العبرية
بكلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية

لم ينفصل التاريخ عن الأسطورة إلا فى عصور متأخرة جداً من حياة البشر على هذه الأرض . وكان انفصاله رحلة طويلة شاقة عبر الحضارات . ولا نستطيع أن نقول اليوم أن التاريخ ـ كل التاريخ ـ قد انفصل تماماً عن الأسطورة بل أنه فى بعض مواقعه التى انفصل فيها عن الأسطورة لم يستطع أن يتحد اتحادا كاملا بالحقيقة . ومازلنا حتى الآن نصطدم فى سير المعاصرين ، على الرغم من الوثائق ، والصحف المكتوبة ، وشهود العيان ، بخلافات صاخبة ، وظلمات من الغموض دامسة ، لأن التاريخ الذى أكسبته حضارتنا المادية استقلالا عن الأسطورة ، لم تستطع أن تكسبه مناعة ضد الأكاذيب . فلا نابليون، ولا الخديو أسمعيل ، ولا هتلر ، ولا جمال عبد الناصر قد ارتقوا فى فى عصر التدوين والتسجيل ، وبوسائل التحقيق والتمحيص ، إلى مستوى السيرة الحقيقية مائة فى المائة ، المحصنة ضد الريب والشكوك ، الظافرة باجماع أهل الحق من المعاصرين .

وعندما كان التاريخ هو الأسطورة ، فى طفولة الشعوب وأميتها ،

كانت تسوقهما معا وجدانات جماهيريه أو عشائرية تلتمس تعليلا مقبولا لكونها منبثقة من مجموعة من البشر لها كيانها المنفصل عن كيان الناس جميعاً ، ويحرص عقلها الجماعى على إثبات أصل تنتمى إليه ، ونسب تتشرف به ، وأحداث يتجاوب خلالها طنين البطولة وقعقعة الامتياز . ثم ترتفع بعض تلك السير البطولية الموغلة فى القدم من الأرض إلى السماء ، لتمـــارس بقية رحلتها الخيالية فى ملك الآلهة . وتصبح بذلك مقدسة ، وتعود بطولاتهـا من السماء إلى الأرض وقد اكتسب ثوبا ساحرا من الغيبيات ، وأصبحت دينا وإيمانا .

وسيدنا موسى عليه السلام من تلـكم الوجوه الوضاءة التى تألقت أنوارها الروحية فى شريعة أساسها الثورة على العبودية ، والوقوف فى وجه الطغيان ممثلا فى شخصية كانت فى زمانها تعتبر سليلة الآلهة ، وقوة السماء على الأرض ، شخصية فرعون ، ملك الملوك ، صاحب التاج والصولجان ، المتصرف المطلق فى البلاد والعباد . وتألقت أنوار مادية تخطف الأبصار ، انبثقت من جبين هذا الرسول ومن كلتا يديه .

ومضى على موسى زمان ، خرج فيه من التـــاريخ الواقعى إلى الأسطورة الدينية والقومية لأناس احتكروه هو وشريعته ، وجعلوه هو وربه ملـكا خاصا بهم .

ومن هنا تبدأ « عقدة موسى » . ومن هنا تقوم حول شخصيته أسئلة كثيرة لـكل منها أكثر من جواب ، وبعضهـا لا جواب له على الاطلاق .

فأولئك الناس الذين يقولون أنهم آمنوا بموسى ، وأنهم أطاعوه هو وربه ، وأنهم خرجوا معه لا يلوون على شىء ، سرعان ما ثاروا عليه وعلى ربه وهم يهيمون فى الصحراء ، وتـكرر منهم العنف والتمرد مراراً ، بل جاهروا بالردة والـكفر وهو مايزال حيا بينهم هو وأخوه هارون . ثم ينتهى أمر الرجلين العظيمين فلا نعرف لهما قـبرا حتى الآن . وتنص التوراة المنسوبة إلى موسى — على الرغم من أن عزرا قد سجلها بالـكتابة بعده بألف سنة — على أن بطل القصة كلها ، هذا الرسول العظيم ، قد مات ودفن حيث لا يعلم أحد .

ماذا يستطيع التاريخ أن يفعل أمام عقدة مثل هذه . فتلك المجموعة من البشر التى تسمى نفسها إسرائيل ، تعرف قبر إبراهيم وإسحق ويعقوب وسارة ورفقة وراحيـل ويوسف ، وهم جميعا أقدم من موسى ، ودورهم فى الرواية أقل أهميـة ، ومع ذلك فإنه يبدو أنهم أضاعوا كل شىء من موسى إلا الأسطورة .

فأين إذن موسى . هل فتـكوا به فى حركة من حركات تمردهم ، ومزقوا جثته شر ممزق ، وألقوها لوحوش البرية ؟

أكان موسى ساميا ، أم مصريا ؟

أكان هناك موسى واحد أم سلسلة من الشخصيات تلقفت هذا الاسم ، واغتصبت لنفسها ما يدور حوله من بطولات ، ثم زادت عليها ؟

وهذه الشريعة الموسوية ، لمن هى؟ وكيف كانت فى بدايتها ؟ وكيف انتهى بها المطاف ؟

وتزدحم علامات الاستفهام كما قلنا مستنجدة بكل وسائل التنقيب والتدقيق . بالآثار ، وبالتاريخ ، وبالفولكلور ، وبعلم مقارنه الشرائع والأديان ، وبالعقل والمنطق ، ويظل موسى مع ذلك غامضا لأن التاريخ والأسطورة تتنازعانه ولا يريد أحدهما أن يتنازل للآخر منه عن قلامة ظفر . وتكثر الأبحاث والكتب والدراسات الخاصة به فى كل اللغات ومن شتى الاتجاهات .

وهذا الكتاب الذى بين يدى القارىء اليوم واحد من أشد هذه الكتب اخلاصا للبحث عن الحقيقة . وهو — مع كونه من أكثرها جرأة — يتسم بالاتزان المضنى الصارم الذى لا يريد أن يسأل سؤالا إلا إذا كان هذا السؤال خلية حية نشيطة تتحرك بقوة فى كل القلوب والعقول . وهو لا يدلى باجابة إلا من خلال نص ، أو من أخدود ضيق وعر بين هضاب ووهاد من النصوص.

والمؤلف ، الأستاذ عصام الدين حفنى ناصف ، قد نمته أعراق أخلصت للبحث العلمى ، فأخذت مكانها فى تاريخ الفكر الحديث لمصر والأمة العربية جمعاء . فهو ابن حفنى ناصف ، العلامة اللغوى والأديب والمشرّع والمصلح الفكرى والثقافى ، الرجل الذى أنشأ مجمعا للغة العربية نابتا من غيرة الأمة على لسانها ، ومن حرصها على ألا ينعقد هذا اللسان أمام طوفان المخترعات والمبتكرات فى حضارة القرن

العشرين ، قبل أن يقوم المجمع اللغوى الرسمى فى مصر بهذه الرسالة . وهو الرجل الذى أسهم بمؤلفاته فى تعليم صحيح لهذه اللغة لعل أحداً لم يتجاوزه حتى الآن . وهو الرجل الذى رفع لواء الرقة المصرية — شعرا وزجلا — إلى أعلى المستويات ، حتى غدا من أعلام النكتة اللاذعة وخفة الظل التى عرفنا بها بين العرب جميعا . عرفته مصر كما يقول شاعر النيل حافظ إبراهيم :

مفتشـا وفقيهـا وقاضيا وابن فن

وإلى هذا البيت الكريم تنتمى الأديبة الكبيرة ملك حفنى ناصف ، باحثة البادية ، السيدة التى أثبتت ببحوثها وآثارها الأدبية أن حرية المرأة فى مصر لا تنحصر فى الدب بالكعوب العالية على أرصفه الشوارع ، ولا ارتياد المجتمعات الصاخبة لعرض آخر صيحة فى الأزياء .

وشقيقه المرحوم مجد الدين حفنى ناصف كان من أولئك المترجمين الأمناء الذين تمثلوا الفكر الأوروبى دون أن يلفظوا عروبتهم أو اسلامهم، فخدم بذلك الثقافة المعاصرة أجل الخدمات ، كما خدم الجامعة بعمله الطويل فى إدارتها خدمة نسأل الله له عنها أجمل الجزاء .

والأستاذ عصام الدين حفنى ناصف إنما هو استمرار للضمير العلمى النزيه الذى كان وما يزال تقليدا فى هذا البيت العريق .

وسيحكم القارىء من خلال هذه الفصول القيمة التى كتبها عن « موسى وفرعون ، بين الأسطورية والتاريخية » .

فإذا كان قد لمس الحقيقة فى بعض جوانب بحثه ببنان اليقين ، فانه فى الجوانب الأخرى قد وضعنا على طريقها ، لعلنا نواصل المسيرة على بعض أشعة من أنوار تلك الحقيقة .

د . حسن ظاظا

١
توراة موسى

ليست التوراة التى بين أيدينا إلا كتاباً للدعاوة الصهيونية حبره أحبار اليهود لحث قومهم على اغتصاب فلسطين من أيدى أصحابها العرب ، وقدصور الأحبار لهم هذا الأمر على أنه فرض عليهم مقدس ، إن أدوه جزاهم ربهم خيراً فى دنياهم وإن تقاعسوا عن تأديته ضرب عليهم فى هذه الحياة الذلة والمسكنة .

وفى هذه التوراة مايدحض مزاعم القائلين بأنها كتاب منزل أوحى به إلى موسى ويقطع بأنها وضعت بعد موسى بقرون ، فهو يتحدث فيها بصيغة الماضى فى أمور وقعت بعد مواراته فى ثرى رمسه بزمن مديد وفى أشياء ليس من الطبيعى أن يعمل فيها فكره وهو تائه فى صحراء سيناء . وأدل من كل أولئك على أن التوراة قد وضعت بعد موسى أن فيها وصفاً لجنازته لايتأتى أن يكون هو كاتبه أو الموحى إليه به(١) .

(١) وقد فصلنا ذلك فى باب « شواهد التزوير » فى كتابنا « محنة التوراة على أيدى اليهود » المطبوع سنة ١٩٦٥ بمطبعة الرسالة وتوزعه مكتبة الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر — القاهرة .

٢

بين الاسطورية والتاريخية

لم يكن أسلاف اليهود لثلاثين قرنا ونيف خلت غير ألفاف من الرعاة ينتجعون الكلأ فى الفيافى المترامية على مشارف بابل ويتخذون منها منطلقاً ينتزون(١) منه بين الفينة والفينة على البلاد المجاورة ذات الخصب والثراء فيظفرون طوراً بالغنيمة ويبوءون تارة بالهزيمة .

وقد طالما كشف عبريو العهد القديم عن الحسد الذى ينتزى فى صدورهم ويتلظى بين جوانحهم نحو الشعوب المتاخمة التى تنعم دونهم بالظلال الوارفة والخيرات الوافرة ، وأعربوا عن ظمئهم إلى الولوغ فى دماء الأمم الآمنة التى أباحت لهم أن يعيشوا فى كنفها . وبارك « العهد القديم » مجازر أولئك السفاحين فى القبائل التى تكتنفهم ووصفها بأنها : فريضة الشريعة التى أمر بها الرب موسى .

وإذ كان أولئك القوم لا ترقى هممهم فى غالب الأحيان إلى تحقيق أمانيهم فى واقع الحال فقد اجتزءوا بأن يحققوها فى منفسح الخيال ، وما أيسر ما أفشى كتبة التوراة وسائر أسفار « العهد القديم » صنوف القتل فى بلاد أعدائهم ، فبدءوا بمصر وثنوا ببابل ثم انثنوا إلى أرام (الشام) ثم شدوا على فلسطين وهى بلاد كانت تنعم بوفرة الغلات وجودة المصنوعات وبأنها فى وضع وسيط بين أوربا وآسيا ، فازدهرت تجارتها ومضت قوافلها وسفنها تجوب البر والبحر .

(١) انتزى على الشيء : وثب عليه ، يقال انتزى على أرض فأخذها .

وهيأت لهم أوهامهم أنهم أبادوا العمالقة عن بكرة أبيهم ، فقد أمر النبي صموئيل مليكه شاول قائلا :

« فالآن أذهب وأضرب عماليق وحرموا(١) كل ماله ولا تعف عنهم بل اقتلوا رجلا وامرأة طفلا ورضيعا بقرا وغنما جملا وحماراً (٢) .

١ صموئيل ١٥ : ٣

وأثلج صدور اليهود مازعمه أحبارهم من أنهم وضعوا السيف فى رقاب خصومهم بفارس وكان ذلك فى تضاعيف قصة أسندوا بطولتها إلى فتاة يهودية لعوب يقال لها إستير(٣) استطاعت أن تغرى الملك

(١) يستعمل « العهد القديم » كلمة « التحريم » بمعنى التقتيل دون تمييز والإبادة التامة والتحريق والتدمير الشاملين .

(٢) ومع ذلك كان العمالقه بعدما أبيدوا بسنين ما فتئوا أحياء أقوياء ، فغزوا بلدة صقلغ وحرقوها وسبوا نساءها ومن بينهن ثنتان من زوجات داود ، وهو يومئذ أفاق قاطع طريق وحليف للفلسطينيين على موطنيه الإسرائيليين .

(٣) تسامع الإسرائيليون بهذه القصة من البابليين أيام السبي (٥٨٦ — ٥٣٨ ق . م .) فاقتبسوها وصاغوها فى شكل عبرى وجعلوا لها مضمونا منافيا لمكارم الأخلاق ، ولهذا صمت النبيان الإسرائيليان عزرا ونحميا عن الإشارة إليها وإلى سفر إستير كله وهو سفر يتميز بأنه لم يذكر فيه اسم الله .

وليست قصة إستير شيئاً غير قصة خيالية ، ذلك أن المؤرخ الإغريقي هيرودت كان معاصرا لإكزرسيس (٥٨٦ — ٤٦٥ ق.م) — وهم يسمونه فى القصة أحشويروش — ودون سيرته مفصلة ، وذكر فيها أن اسم الملكة هو أمستريس لاوشتى . أما إستير التى تزعم القصة أنها حلت محل وشتى زوجة للملك فلم يرد لها ذكر فى تلك السيرة ، ومن الواضح أنها لم يكن لها مقام فى حياة الملك إلا أن تكون =

إكزرسيس بوزير له أسموه هامان كان معروفا بمناوأته اليهود ، فأمر به الملك أن يصلب وأبطل ما كان قد أصدر من أوامر باضطهاد اليهود ، وما عتم اليهود المفعمون حقدا أن انطلقوا يوقعون بأعدائهم وأسرفوا فى القتل .

« وقتلوا من مبغضيهم خمسة وسبعين ألفا » .

إستير ٩ : ١٦

ويرى غير قليل من العلماء الناسابهين أن قصة موسى والضربات التى أهوى بها إلى مصر وجيشها لاتعدو أن تكون إحدى تلك القصص التى تخرقها كتاب الأسفار اليهودية المقدسة ومضوا فيها ينكلون بخصومهم فى الخيال بعد ماعز عليهم التنكيل بهم بالنعال .

= سرية من السرارى ، وهو مايخدش كبرياء اليهودية .

ويلاحظ فى أسماء شخوص القصة أن اسم :

١ — إستير : محرف عن عشتار وهى إلاهة سامية قديمة للمحبة والزواج والإخصاب .

٢ — مردخاى (ابن عم إستير ورائدها فى الإغراء والتماجن) : محرف عن مردك كبير آلهة الكلدان

٣ — هامان : اسم لإله عيلامى قديم .

أجل ، هى قصة خيالية لاغير، تزين لفتيات اليهود أن يحتذين مثال البطلة إستير، فإذا ما حزب الأمر مثلن بين يدى حكام البلاد التى يعشن بها وأبدين لاغرائهم مفاتنهن واستخدمن لارضائهم أنوثتهن . وهذا ما فعلته بعد ٢٤ قرنا مدام لوبسكو حظية كارول ملك رومانيا قبيل الحرب العالمية الثانية ، إذ حبذت له أن يبدل سياسته تجاه النازيين فانقلب عليهم وخسر بذلك عرشه . وقد سبقت إلى مثل ذلك غانيات اليهود إبان الحرب العالمية الأولى فى الشام ، والوالى عليها من قبل الدولة العثمانية يومئذ السفاح جمال باشا ، الذى فتك بزعماء العرب المنادين بالاستقلال الذاتى ، فكان يحبو اليهود بمزايا إقتصادية كبيرة مقابل تقديمهم له فتياتهم الجميلات .

لقد اصطلح علماء التاريخ العبرى على أن ذلك التاريخ يبدأ منذ أنشأ اليهود مملكة لهم تبوأ عرشها شاول (طالوت) نحو سنة ١٠٢٥ ق.م وتلاه عليه سنة ١٠١٠ ق.م خصمه اللدود داود ، وقد أجمعوا على أن ما يروى من أحداث جرت قبل ذلك هى أمور لايعى علم التاريخ منها شيئاً ، وعلى أن قصص البطارقة الذين عاشوا بين أظهر العبريين قبل عهد الملوكية — وفى جملتها قصص نوح وإبراهيم ولوط وإسحق ويعقوب ويوسف وموسى — ليست فى نظرهم إلا أضغاثا(١) من أساطير الأولين .

---

(١) الضغث : كل ما جمع وقبض عليه بجمع الكف ونحوه ، ويقال أتانا بأضغاث من أخبار : بضروب مختلطة منها يغلب ألا يكون لها حقيقة .

٣

استعباد المصريين لبنى إسرائيل

أجل، ليست قصص أنبياء التوراة والعهد القديم إلا لبنات فى بناء واحد هو هيكل الصهيونية .

تزعم هذه القصص فيما تزعم أن الإله يهوه ضاق صدره بالذين انكروا على نوح تنبؤه ، فأغرق الكوكب الأرضى كله من أقصاه إلى أقصاه وأباد فى غير رحمة من كان يعمره من بنى آدم جميعاً ، لم يستثن منهم غير نوح وثلاثة بنية وزوجاتهم، بيد أن نوحا ما إن صعد إلى البر حتى وغر صدره لسبب تافه على ابنه الصغير حام أبى كنعان .

« فقال ملعون كنعان . عبد العبيد يكون لإخوته . وقال مبارك الرب إله سام . وليكن كنعان عبداً لهم » .

تكوين ٦ : ١٥ - ٢٦

وبذلك صب زعاف لعنته على الكنعانيين أصحاب فلسطين وعلى المصريين والسودانيين الخ الخ ، وبارك ساما أبا العبرانيين . واجتبى يهوه من سلالة سام إبراهيم فاتخذه خليلا ، ثم قفى على ذلك بأن أبدل اسم يعقوب من اسم إسرائيل (١) . وأعلن أنه قد اصطفى بنى إسرائيل

(١) فقد لقى يعقوب يوما ربه سائراً فى الطريق فصارعه وكان كفؤا له حتى إنه أوشك أن يظهر عليه لولا أن يهوه انتهك قواعد المصارعة وضرب يعقوب على حق فخذه . وانتهى الأمر بأن رسم يهوه ليعقوب بأن يغير اسمه فيجعله « إسرائيل» تذكرة بأنه رأى الله وجهاً لوجه وثبت فى مواجهته »

« فقال لا يدعى اسمك فى ما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت » .

تكوين ٣٢ : ٢٨

وفضلهم على سائر العالمين واتخذهم شعباً مختاراً له وأورثهم إمبراطورية عريضة تترامى أصقاعها فيما بين النيل والفرات .

وقد أفاض سفر الخروج فى تبيان كيفية خروج الإسرائيليين من مصر بقيادة موسى ، وقدم سفر التكوين لذلك الخروج بقصة يحكى فيها كيف كان دخول الإسرائيليين إلى مصر بادىء بدء ، تلك قصة يوسف إذ حسده إخوته لما آثره أبوهم من عطف ومحبة ، فبيتوا النية على التخلص منه ، وأوشكوا أن يودوا بحياته ثم عدلوا عن ذلك حتى لا ينتهكوا تابو القتل ، وباعوه لقافلة ميممة مصر حيث اشتراه ضابط مصرى له زوجة حسناء جعلت تراود يوسف عن نفسه وهو يتأثم ويتأبى فأحنقها ذلك عليه فرمته بدائها وانسلت فزج به فى السجن فمكث فيه ١٣ عاما، وعلم فرعون(١) بمقدرة يوسف على تأويل الأحلام فاستحضره إليه واستوزره ، فأرسل يوسف يستدعى إليه أباه إسرائيل وإخوته بنى إسرائيل فلبوا الدعوة وشخصوا إلى مصر هم ومن يلوذ بهم وكانت عدتهم ٧٠ .

« جميع نفوس بيت يعقوب التى جاءت إلى مصر سبعون(٢) » .

تكوين ٤٦ : ٢٧

وأكرمت مصر وفادتهم وأقطعهم فرعون أرض جاسان(٣) .

(١) لقب ملك مصر فى التاريخ القديم وأصله بالمصرية (پرعو) بغير نون ومعناه : الرجل الذى يعيش فى البيت العظيم .

(٢) وفى رواية أخرى أنهم كانوا ٧٥ نفساً .

« فأرسل يوسف واستدعى أباه يعقوب وجميع عشيرته خمسة وسبعين نفساً »

أعمال الرسل ٧ : ١٤

(٣) وهى تقع شمالى بلبيس كما هو واضح فى مصور محمد رفعت.

وطاب لهم المقام بها إذ استمتعوا بمرعى خصيب لم يعرفوا له نظيراً في الفلاة الجدباء التي نبتوا فيها ، ونعموا بالأمن ولم يكن لهم به عهد وسط عشيرتهم التي تقتنص أسباب المعاش من غنائم قطع الطريق على عابري السبيل والإغارة على العشائر المخيمة في البلاد المتاخمة ، وظفروا بالعمل الهين الذي يوفر لهم كثيراً من أوقات الفراغ وباءوا بالأجر المجزي الذي يسنى لهم اقتناء النعم .

أطعمهم المصريون من جوع وآمنوهم من خوف فتناسلوا وتكاثروا فلم يمض على مقدمهم ٢٠٠ سنة ونيف حتى ازداد عديدهم من ٧٠ نفسا إلى ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ لديهم مثل عددهم من الماشية ، وكان بينهم عندما فصلوا عن مصر .

« نحو ست مئة ألف ماش (١) من الرجال عدا الأولاد . وصعد معهم لفيف كثير أيضاً . مع غنم وبقر . مواشي وافرة جداً » .

خروج ١٢ : ٣٧ - ٣٨

وأجرى بعد ذلك إحصاء لليهود الشرد في سيناء(٢) فأسفر عن أن عدد الأبكار الذكور ٢٢٫٢٧٣ .

---

(١) وفي ترجمة أخرى حديثة أنهم كانوا ٦٠٠٫٠٠٠ مقاتل.

(٢) ولم يصابوا – مع ذلك – بما أصيب به قوم داود من الأوبئة الفتاكة عندما أمر موسى بإحصائهم .

« فجعل الرب وبأ في إسرائيل من الصباح إلى الميعاد فمات من الشعب من دان إلى بئر سبع سبعون ألف رجل » .

٢ صموئيل ٢٤ : ١٥

ذلك أن موسى لما يكن قد فرض على قومه الضريبة التي يؤدونها للكهنة أبناء أخيه هرون تكفيراً عن إحصاء الحكومة لهم ، بزعم أن الإحصاء يمهد السبيل للحسد وهو ما تنهى عنه الوصية العاشرة .

« فكان جميع الأبكار الذكور بعدد الأسماء من ابن شهر فصاعداً المعدودين منهم اثنين وعشرين ألفاً ومئتين وثلاثة وسبعون » .

عدد ٣ : ٤٣

فإذا ضاعفنا هذا الرقم كان عدد الأبكار من الجنسين نحو ٤٥٫٠٠٠ فإذا قسمنا عدد اليهود النازحين عن مصر على عدد الأبكار من الجنسين ألفينا أن معدل ما كانت تلده المرأة الاسرائيلية يتجاوز ٦٥ وليداً . وبهذا التخصاب الذي بذت فيه نساء اليهود إناث الأرانب لم يلبث الإسرائيليون الدخلاء أن أربى(١) عددهم على عدد أهل البلاد الأصلاء ، ومن ثم وصفهم المصريون بأنهم

« شعب أكثر وأعظم منا » .

خروج ١ : ٩

ثم إنهم لتباين خصائص الشعبين وانفساح الشقة بين حضارة هؤلاء وبداوة أولئك ، لم يندمجوا في المصريين ولم يصهروا إليهم ، وكذلك لم ينزعوا عن عاداتهم البدائية أو يتخلوا عن تقاليدهم الهمجية بل جعلوا يعيشون متجمعين بعضهم إلى بعض كأنهم دولة داخل الدولة ، وتوثقت لهم صلات بأعداء مصر المرابطين على تخومها ، وكانوا يتنكرون للبلاد إذا ألمت بها ضائقة أو دهمتها غارة .

« فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا » .

خروج ١ : ١٠

يضاف إلى ذلك أنهم كانوا يضمون بينهم لفيفا من المدنسين

---

(١) أربى الشيء : زاد وكثر ، ويقال أربى على الخمسين من عمره .

بالبرص[١] ، فبعث ذلك على تقبض[٢] المصريين عنهم وشحذ رغبتهم في التخلص منهم .

ودار الزمن دورته .

« ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف » .

خروج ١ : ٨

وقد أغفلت القصة اسم ذلك الملك الذى لم يكن يعرف يوسف كما أغفلت اسم الملك الذى كان يعرفه[٣] ، ولو أنها ذكرت أسميهما لكان ذلك أبعث على تصديق القصة التى لم ينته شىء منها إلى علم التاريخ[٤] .

---

(١) كتب ديودور الصقلى يقول :
أصيبت مصر فى الزمن العابر ذات مرة بوباء وخيم عزى إلى غضب الله لكثرة الأجانب فى مصر ممن يصدفون عن أداء مناسك الوطنيين الدينية ، ومن ثم طردهم المصريون .

(٢) تقبض عن الشىء : اشمأز منه .

(٣) وكذلك أغفلت التوراة اسم الملك الذى حج إبراهيم إليه محتقبا امرأته الجميلة سارة .

« فأخذت المرأة إلى بيت فرعون فصنع إلى أبرام خيراً بسببها . وصار له غنم وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال » .

تكوين ١٢ : ١٥ — ١٦

(٤) وقد طابق بعض المؤمنين بين قصص التوراة وأحداث التاريخ من حيث الأزمنة التى وقعت فيها هذه وتلك فخرجوا من ذلك بأن العهد الذى وفد فيه إسرائيل وبنوه إلى مصر وحظوا بإكرام الدولة لهم هو عهد احتلال الملوك الرعاة (الهكسوس) للبلاد ، وبأن فرعون مصر الذى عهد إلى الاسرائيليين فى ضرب اللبن وتشييد المبانى وما إلى ذلك هو رمسيس الثانى (١٢٩٢ — ١٢٢٥ ق م) . أما خروج هؤلاء الدخلاء من مصر فكان فى عهد أمنحتب الثانى . ويستنبط العلامة بترى من التوراة أن خروجهم كان قرابة سنة ١٢٢٤ ق م .

وقد أغفلت القصة أيضا بيان الأعباء الثقال التى كان ينوء بها العبريون وحدثتنا بخلاف ذلك عن أوقات الفراغ التى كانوا يسترخون فيها .

ويستبين لمن يقرأ قصة التوراة أن فرعون موسى كان رجلا حليما كريماً عف عن العبريين فأبقى عليهم مع إدراكه جسامة خطرهم على البلاد .

دخل إليه موسى وهرون يتهددان ويتوعدان . لم يحاول موسى وهو « ثقيل الفم واللسان » .

خروج ٤ : ١٠

أن يقنعه بعدالة ما يلتمسه باسم العبرانيين ، ولم يحتج أخوه الفصيح هرون بأية حجة تؤيد حقهم فى الإنصاف ، لم يشد أحدهما بالحرية ولم يدل بما يكشف عما فى نظام الرق من زراية وهوان ، بل جعلا ينوهان بالإله يهوه ويتحدثان عن مطالبه .

« فالآن نمضى ثلثة أيام فى البرية ونذبح للرب الهنا »

خروج ٣ : ١٨

ولم يكن يهوه أكثر من إله من آلهة القبائل البدائية لا يشذ عن سائرهم فى المطالبة بالذبائح والأضحيات والإنذار بما يفضى إليه التقصير فى تقريب القرابين من العواقب الوخيمة كما كفهرار الجو وكدو[١] الأرض وأوف الزرع . إنه مجرد إله قبيلة همجية لم يسمع به فرعون من قبل .

---

(١) كدت الأرض : أبطأ نباتها ، كدى الزرع : ساءت نبتته .

وكان من البدهى أن يرد فرعون طلب موسى فلا يسلم إلى هذا الأجنبى الدخيل مقاد الملايين من رعاياه ليدعه يسرب(١) بهم فى طريق غير مأمون ويفرض عليهم سلطانه ويسلط عليهم كهنته ويهرب معهم جانبا كبيراً من ثروة البلاد .

« وبعد ذلك دخل موسى وهرون وقالا لفرعون هكذا يقول الرب إله إسرائيل أطلق شعبى ليعبدوا لى فى البرية فقال فرعون من هو الرب حتى أسمع قوله فأطلق إسرائيل . لا أعرف الرب وإسرائيل لا أطلقه »

خروج ٥ : ١ - ٢

لقد كان من أيسر الأمور أن يطيح رأس هذا الإسرائيلى كما أطاح هيرودس رأس يوحنا المعمدان أو أن يزهق أنفاسه كما فعل بيلاطس وقيافا بيسوع الذى يدعى المسيح ، ولكن فرعون كان رجلا مهذبا واسع الصدر لا يستنكف التفاهم بالتى هى أحسن حتى مع دخيل أجنبى توحى حركاته وسكناته بأنه مشعوذ سحار . لقد كان يفتقر إلى الصرامة والقسوة اللازمتين لتكوين شخصية الطاغية . وقد كلفه ذلك عرشه وحياته .

هذا هو فرعون موسى ، فرعون مصر المفترى عليه .

ويودنا أن نتريث هنا لحظة لنتسائل انفسنا عن مظاهر استعباد فرعون الجديد هذا لبنى إسرائيل :

١ — هل نزع العبريين من الإقطاعية التى حبا فرعون القديم بها أسلافهم فى أرض جاسان ؟

لايبدو أن الأمر كذلك ، فقد لبثوا فيها إلى اليوم الذى ظعنوا فيه عن مصر مشكورين ، وآية ذلك أنه حدث فى الضربة الموسوية السابعة أن :

« ضرب البرد جميع عشب الحقل وكسر جميع شجر الحقل . إلا أرض جاسان حيث كان بنو إسرائيل فلم يكن فيها برد » .

خروج ٩ : ٢٥ - ٢٦

٢ — هل كان بنو إسرائيل فى عهد ذلك الفرعون يشكون العوز والحرمان ؟

كلا ، فقد خرجوا من مصر وهم يسوقون أمامهم قطعانا كبيرة كثيرة من الماشية .

« وصعد معهم لفيف كثير أيضا ، مع غنم وبقر ، مواشى وافرة جداً » .

خروج ١٢ : ٣٨

وقد حملوا معهم من الثياب ماظلوا يرفلون فيه طوال السنين الأربعين التى لبثوها فى صحراء سيناء .

أما عن الطعام الذى كانوا يكظون به كروشهم فى مصر فنحن نكتفى فى شأنه بشهادتهم هم أنفسهم ، فقد ندموا وهم فى البرية — ولات ساعة مندم — على تلبيتهم دعوة موسى وهرون للمسير نحو الأرض التى زعما لهم أنها تفيض لبنا وعسلا .

« وقال لهما بنو إسرائيل ليتنا متنا بيد الرب فى أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع » .

خروج ١٦ : ٣

وأدركوا أن الأرض التى تفيض لبنا وعسلا هى التى خرجوا منها لا التى سيحل بهم الأجل قبل أن تقع عليها أعينهم ، فواجهوا موسى يعرفونه بأنه غرر بهم وأوردهم موارد التلف .

«أفقليل أنك أصعدتنا من أرض تفيض لبنا وعسلا لتميتنا فى البرية »

عدد ١٦ : ١٣

وجعلوا يتحسرون على مافقدوه

« فعاد بنو إسرائيل وبكوا وقالوا من يطعمنا لحما . وقد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله فى مصر مجانا والقثاء والبطيخ والكرات والبصل الثوم » .

عدد ١١ : ٤ – ٥

وأما عن الكماليات التى كان ينعم بها أولئك الدخلاء فيكفى أنهم كانوا يتحلون إناثا وذكورا بحلى من ذهب .

« قال لهم هرون انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها » .

خروج ٣٢ : ٢

ثم أنهم كانوا يحملون السلاح وكانوا عند خروجهم من مصر متدججين فيه .

« وصعد بنو إسرائيل متجهزين من أرض مصر »

خروج ١٣ : ١٨

ولما ناداهم موسى لم يخفوا سراعا إلى تلبية ندائه بل صدفوا عنه طويلا .

« فكلم موسى هكذا بنى إسرائيل ولكن لم يسمعوا لموسى »

خروج ٦ : ٩

أليس فى ذلك ما يلقى ظل الشك على زعم التوراة بأن المصريين

كانوا يعنفون بهم ويفرطون عليهم وأنهم أوشكوا أن يوبقوا مواليدهم

٣ — فكيف كانوا يستعبدون اذن ؟

ألا إن فى الحديث عن استعباد المصريين لهم لإفراطا وشططا .

٤ — وعلى فرض أن ثمة عبودية فمن الذى ضربها على العبريين والمصريين جميعاً ؟

إنه دخيل من بنى إسرائيل لم يزل يحتال على فرعون حتى ظفر بثقته

« فقال فرعون لعبيده هل نجد مثل هذا رجلا فيه روح الله[1] »

تكوين ٤١ : ٣٨

لقد قبض يوسف على أزمة الأمور فى مصر وأصبح صاحب الأمر والنهى فيها ، ودأب يختزن القمح فى أهراء فرعون حتى إذا ما انصرمت سنين[2] الرخاء وأجدب القوم اهتبل[3] جوعتهم فاستصفى[4] ما كانوا يملكون من عقار وما كانوا يدخرون من نقود ثم خيرهم — ولا خيار — بين العيش عبيدا أو الموت جياعا .

« فقال يوسف للشعب إنى قد اشتريتكم اليوم وأرضكم لفرعون »

تكوين ٤٧ : ٢٣

---

(١) إن استعمال كلمة « الله » فى حديث فرعون إلى حاشيته يدل على أنه هو وقومه كانوا مؤمنين يدينون بالوحدانية قبل موسى بأكثر من قرنين .

(٢) هنا عاملنا كلمة سنين معاملة جمع التكسير لامعاملة جمع المذكر السالم مما يجعلها « انصرمت سنو الرخاء » وقد روى عن الرسول أنه قال : اللهم اجعلها عليهم سنيناً كسنين يوسف .

(٣) اهتبل الصيد : بغاه واحتال عليه ، وفى الحديث «من اهتبل جوعه مؤمن» أى تحينها واغتنمها .

(٤) استصفى مال فلان : أخذه كله .

٥ — وقد بارك يهوه هذه العبودية زمنا طويلا ثم تذكر فجأة موثقا كان قد قطعه على نفسه لإسرائيل وأبى إسرائيل وجد إسرائيل .

« فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب »

خروج ٢ : ٢٤

فتحرك بعد لأى وآلى على نفسه أن ينقذ العبرانيين ويحررهم من العبودية تاركا من سواهم من الشعوب والطوائف يرسفون فى اغلالها .

فلم هذه التفرقة ؟

هل كان الآخرون غير أحرياء بالتحرر ؟

وهل كان تحرير العبرانيين أهم مافى العالم ؟

ولم عنى يهوه بتحريرهم من نير المصريين وحدهم وسمح بأن يتعبدهم الآشوريون(١) والبابليون(٢) والرومان(٣) وغيرهم بعد ذلك .

(١) عندما افتتح ملكهم سرجون الثانى مملكة إسرائيل وحاضرتها السامرة — ٧٢٢ ق.م ونفى الألوف من أهلها .

(٢) عندما افتتح ملكهم نبوخذنصر مملكة يهوذا وحاضرتها أورشليم — سنة ٥٨٦ ق.م وهدم الهيكل السليمانى وسبى الألوف من أهلها .

(٣) دوخ القائد الرومانى بومبى مملكة يهوذا سنة ٦٣ ق.م وكانت الامبراطورية الرومانية فى القرن الأول الميلادى تعيش على تسخير العبيد . وفى سنة ٧٠ م اقتحمت جحافل الرومان ربوع أورشليم المتمردة وصيرتها خرابا يبابا وأضرمت النار فى الهيكل وأسرت من اليهود جما غفيراً فقتلت من ساعتها فريقا منهم وأرسلت بفريق آخر ليصطرع فى الملاعب تلهية للجماهير العابثة وساقت الباقين إلى المناجم والمحاجر يكابدون فيها أشق الأعمال .

٤

بيت العبودية فى مصر

أجل ، دار الزمن دورته فقضى يوسف وفرعون يوسف ، واقتعد العرش بعده أبناء وحفدة ، وآل الأمر ذات يوم إلى فرعون جديد ذى نظر حديد وبأس شديد فحص عن أمر هؤلاء الدخلاء فلم ترقه أحوالهم ، فطوى عنهم كشحه وحرمهم بعض الامتيازات التى كان قد حباهم بها يوسف وفرعون يوسف وأوجب عليهم أن يعملوا ليكسبوا قوتهم كادحين لا متطفلين فأجهدوا ولم يكونوا قد ألفوا أن يبذلوا جهداً ، وكان من الطبيعى ، وهم جيل من الهمج لم تتصل بهم أسباب الحضارة ، أن تناط بهم الأعمال التى تتطلب جهداً بدنياً لا تصحبه بالضرورة خبرة فنية كضرب اللبن وتشييد المبانى .

وخف إليهم موسى من مدين وجعل يلوح لهم بعصاه فأخذتهم العزة بالإثم وانتفخت أوداجهم(١) كما انتفخت أوداج السوديت(٢) عندما تراءى لهم هتلر تهدر شقاشقه(٣) بتمجيد « الشعب السيد » فمضوا

(١) الودج (بفتحتين) : عرق الأخدع الذى يقطعه الذابح فلا يبقى معه حياة . والودجان ينتفخان عند الغضب .

(٢) السوديت : هم ألفاف من ألمان الجنوب هاجروا إلى تشيكوسلوفاكيا وأوطنوا بها ثم انقلبوا عليها إبان الحرب العالمية الثانية .

(٣) الشقشقة : لهاة البعير . وقيل شىء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج . ويقال للفصيح هدرت شقاشقه .

أيدي المواطنين الأصلاء التي لم تفتأ تحشو بالطعام أفواههم الفاغرة قرناً بعد قرن(١). وأهوى موسى إلى مصر المضياف بضربات مروعة واحدة إثر أخرى ، فأوبق شعب مصر وفتك بأنعامه واقتل أبكاره ثم أغرق الجيش المصرى فى قعر البحر .

تلك قصة كهنوتية تفصح عن أمانى اليهود العدوانية ، وهى ليست فوق مستوى الشكوك والريب :

١ ـ فقد أغفلها كثير من الأنبياء ذوى الخطر مثل عاموس وأشعيا .

٢ ـ ثم إن كلمة « من بيت العبودية » التى زج بها فى الوصية الموسوية الأولى لا وجود لها فى أقدم المخطوطات العبرية .

٣ ـ ما . . . ق سنها اليهود لأنفسهم .

ا) بأن يأكلوا فى عيد الفصح خبزاً فطيراً غير خمير .

(ب) بأن يذبحوا خرافاً للتضحية بها .

فإنها ليست أثراً لتلك الحادثة التى قيل فيها :

« فحمل الشعب عجينهم قبل أن يختمر ومعاجنهم مصرورة فى ثيابهم على أكتافهم » .

خروج ١٢ : ٣٤

والتى طوعاً لها ـ تقول الوصية الثانية لكل يهودى :

« تحفظ عيد الفطير . سبعة أيام تأكل فطيراً كما أمرتك فى وقت شهر أبيب خرجت من مصر »

خروج ٣٤ : ١٨

(١) القرن : أهل زمان واحد و — أمة بعد أمة .

بل إن هذين التقليدين هما عادتان الإسرائيليون فى زمن سابق لزمن تلك الحادثة . وما زال أعراب البوادى ، وهم أيضاً من الساميين يأكلون الخبز الفطير ويذبحون الخراف فى أعيادهم الدينية . وهذا الذبح هو تضحية رمزية بالكائن البشرى تهدئة للآلهة الغضاب ، وذلك شىء كانت تمارسه قبائل الهمج البدائيين وكانت لا تنفك فى رهبة وذعر من غضب الطبيعة .

٤ ـ وقد اجتمع رأى غير قليل من العلماء المنقطعين لتاريخ مصر وسواهم من المتفرغين لتاريخ العبريين على أن بنى إسرائيل لم يقيموا بالديار المصرية خلال تلك الحقبة التى يؤرخها سفر الخروج .

وثم أقوال بعض من يعتد برأيهم من العلماء الأمريكيين :

١ ـ قال جوزف ب. ألكسندر أمين معهد اللاهوت اليهودى فى نيويورك .

« ليس فى خارج الكتاب المقدس من دليل يقطع باغتراب الإسرائيليين فى مصر » .

٢ ـ وقال وليم سى. هيز من علماء قسم الفنون المصرية بالمتحف الفنى لحاضرة ولاية نيويورك .

« وفيما يتصل بتقصى تاريخ مصر من آثارها ، ليس ثم برهان تاريخى على أن اليهود عاشوا يوما فى مصر ، عبيدا أو غير عبيد » .

٣ ـ وأعلن دكتور فيليب حتى أستاذ الآداب السامية بجامعة برنستن أنه .

« لم يدونوا شىء عن استعباد اليهود فى مصر غير ما فى الكتاب » .

٤ ـ وذكر جون أ. ولسن مدير المعهد الشرقى بجامعة شيكاغو

« أن عالم العاديات المصرية الذائع الصيت جيمس هنرى برستد لم يكن الوحيد الذى أخفق خلال مباحثه طوال أربعين عاما فى العثور على « دليل نوعى على اضطهاد بنى إسرائيل فى مصر ، بل إنه لم يعثر عالم ما على دليل واضح فيما يتصل بهذا الحادث التاريخى » .

٥ — وصرح دكتور سدنى سمث أمين المتحف البريطانى ، وهو من أعظم الثقات فى فن العاديات المصرية قائلا :

« لست أعتقد أن ثم برهانا حاسما فى غير الكتاب المقدس على أن أسباط بنى إسرائيل كانت فى مصر قبل أن تغزو فلسطين » .

٦ — واعترف أبرام ليون زخار فى التاريخ الأوربى بجامعة إلنوى بأنه :

«ليس ثم برهان مفحم» على وجود موسى ، وبأن « أبرز شخوص التاريخ اليهودى هم وليدو الخيال » وبأن « إيطان اليهود بمصر . . . ليس عليه برهان يقينى كاف ، بل هو مثار شك مريب » .

٧ — وذكر الأستاذ الجامعى سالو و . بارون فى كتابه « تاريخ اجتماعى ودينى لليهود »أنه ليس ثم برهان موثوق به على صحة خروج اليهود من مصر ثم قال .

« لو كان شىء من ذلك قد حدث حقا لكان قد بلغ من ضآلة الشأن ما جعل المصريين يوفرون على أنفسهم مشقة تدوينة » .

وقصارى القول أن قصة استعباد المصريين لليهود هى فرية لا حظ لها من الصحة ، بيد أنه بذلت فى ترويجها دعاوة بلغ من قوتها أن حملت المصريين أنفسهم على استنزال اللعنة على آبائهم العظام والتحزب

لمشعوذة بنى إسرائيل ، أولئك الذين لم يستعبدوا فى مصر قط ومع ذلك حفزهم التعصب الأعمى للصهيونية على أن يجشموا أنفسهم عنتاً شديداً ليذكروا حادثة لم تكن . وقد افتروا على أهل مصر الكذب إذ جعلوا يهوه يستهل وصاياه العشر بقوله :

« أنا الرب إلهك الذى أخرجك من مصر من بيت العبودية »

خروج ٢٠ : ٢

وهى كلمة لم يكتف بذكرها مرة أو اثنتين بل رددها عشرات المرات .

«أنتم رأيتم ماصنعت بالمصريين. وأنا حملتكم على أجنحة النسور(١) وجئت بكم إلى » .

خروج ١٩ : ٤

«أنا الرب إلهكم الذى أخرجكم من أرض مصر من كونكم عبيدا وقطع قيود نيركم وسيركم قياما » .

لاويون ٢٦ : ١٣

---

(١) وواقع الحال أنه أضلهم فى التيه ٤٠ عاما طواهم الموت خلالها فلم يصل من الملايين الثلاثة الذين بدأوا النقلة إلى أرض الميعاد غير شخصين اثنين لا ثالث لهما .

« فحمى غضب الرب على إسرائيل فى ذلك اليوم وأقسم قائلا : لن يرى الناس الذين صعدوا من مصر ابن عشرين سنة فصاعدا الأرض التى أقسمت لإبراهيم وإسحق ويعقوب لأنهم لم يتبعونى تماما . ما عدا كالب بن يفنة القنزى ويشوع بن نون لأنهما اتبعا الرب تماما. فحمى غضب الرب على إسرائيل وأتاههم فى البرية أربعين سنة حتى فنى كل الجيل الذى فعل الشر فى عينى الرب » .

عدد ٣٢ : ١٠ـ١٣

« واذكر أنك كنت عبداً في أرض مصر فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة » .

تثنية ٥ : ١٥

« ومتى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي حلف لآبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب أن يعطيك . إلى مدن عظيمة جداً لم تبنها وبيوت مملوءة كل خير لم تملأها وآبار محفورة لم تحفرها وكروم وزيتون لم تغرسها وأكلت وشبعت . فاحترز لئلا تنسى الرب الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية » .

تثنية ٦ : ١٠ - ١٣

« وقال الرب ليشوع اليوم قد دحرجت عنكم عار مصر ، فدعى اسم ذلك المكان الجلجال إلى هذا اليوم » .

يشوع ٥ : ٩

وهلم جرا .

لوأن امرءاً كائنا من كان وبالغة أعماله من العظم مابلغت ، لهج بذكر أعماله والإشادة بمآثره فى مثل هذا الازدهاء لغض ذلك من منزلته وأسقط من مروءته .

ولو أننا وازنا بين ما فعله كل من يهوه وأبراهام لنكلن فى تحرير العبيد لوجدنا :

١ — أن لنكلن ، وقد حرر عبيد الولايات المتحدة جميعا فى سنة

١٨٦٣(١) لم يباه قط بالعمل الجليل الذى أنجزه ولم ينبس بكلمة تنم على عجيب بالنفس ولم يمن على الذين وضع عنهم إصر الرق .

٢ — ومما يضاعف من قيمة العمل الذى أنجزه أنه لم يكن زنجيا يحرر شعبه وإنما كان امرءاً يؤمن بفكرة(٢) فبذل فى سبيلها وغامر بإشعال الحرب الأهلية .

٣ — وإذا كان هذا الرجل قد استطاع أن يحرر عبيد أمريكا أجمعين فلا ريب أنه كان فى وسع الإله يهوه أن يحرر عبيد العالم قاطبة .

٤ — ثم إن لينكلن لم يبح للعبيد الذين رفع نير الرق عن كواهلهم أن يسترقوا لكائن من كان ، أما يهوه فقد حرر بنى إسرائيل من تعبد المصريين لهم ولكنه تركهم عبيداً للملوك ، وهذا يتضح من قول الإسرائيليين عندما برز العملاق الفلسطينى جليات (جالوت) يتحداهم أن يرسلوا إليه من يبارزه .

« فيكون أن الرجل الذى يقتله يغنيه الملك غنى جزيلا ويعطيه بنته ويجعل بيت أبيه حراً فى إسرائيل » .

١ صموئيل ١٧ : ٢٥

---

(١) ألغت بريطانيا الرق فى بلادها سنة ١٨٠٨ م وألغته فى مستعمراتها سنة ١٨٣٣ م . وعقدت هى وحكومة الخديو اسماعيل معاهدة فى ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ م ألغت مصر بمقتضاها الرق فى بلادها ، فأثار ذلك حفيظة الكثيرين من رجال الدين وهبوا ينكرون هذا الإلغاء قائلين : كيف تحرمون ما أحله الله ؟

(٢) ويعزو بعضهم تحريره العبيد إلى أسباب اقتصادية ويرى غيرهم أن ذلك كان تدبيرا حربياً يبتغى به إضعاف الجنوبيين .

كما أنه مستفاد من الشريعة الخاصة بالاسترقاق ومعاملة الأرقاء .

« . . . إن قال العبد سيدى وامرأتى وأولادى لا أخرج حرا يقدمه سيده إلى الله ويقربه إلى الباب أو إلى القائمة ويثقب سيده أذنه بالمثقاب . فيخدمه إلى الأبد » .

خروج ٣١ : ٥ - ٦

وهى تبيح لليهود أن يبيعوا بناتهم فينتظمن فى سلك الإماء .

« وإذا باع رجل ابنته أمة لا تخرج كما يخرج العبيد » .

خروج ٢١ : ٧

وقصارى القول أن يهوه لا ينكر الاسترقاق فى ذاته بل إن كل ما ينكره هو أن يسترق الأجانب أبناء شعبه المختار .

٥ — ثم إنه يحض اليهود على استرقاق من عداهم ويأمرهم بشن حملات من النخاسين يخطفون أبناء الشعوب الأخرى ويبيعونهم أرقاء .

« حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك . وإن لم تسالمك . . . فأضرب جميع ذكورها بحد السيف » .

تثنية ٢٠ : ١٠ - ١٤

٦ — وأباح لمالكى الرقاب أن يضربوهم ويثخنوهم وإن أفضى بهم ذلك إلى الموت .

« إذا ضرب إنسان عبده أو أمته بالعصا فمات تحت يده ينتقم منه . لكن إن بقى يوما أو يومين لا ينتقم منه لأنه ماله » .

خروج ٢١ : ٢٠ - ٢١

٧ — ومهما يكن من أمر ما تزعمه التوراة من استرقاق المصريين للعبريين فإن يهوه هو آخر من يحق له الخوض فى هذا الموضوع ، فلقد شرع لليهود أن يتخذوا لهم عبيدا من أبناء الشعوب الأخرى الذين يقيمون فى ربوع اليهود أو على مقربة منها .

« وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم منهم تقتنون عبيدا وإماء . وأيضاً من أبناء المستوطنين النازلين عندكم . منهم تقتنون ومن عشائرهم الذين عندكم الذين يلدونهم فى أرضكم ، فيكونون ملكا لكم وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك . تستعبدونهم إلى الأبد » .

لاويون ٢٥ : ٤٤ - ٤٦

وهل فعل المصريون بالعبريين النازلين عندهم شرا من ذلك ؟

أحرام على بلابله الدوح   حلال للطير من كل جنس

أحمد شوقى

أهل البلاد ، وقد استغرق ذلك نحو ٤ قرون . وكان رمسيس الثانى قد خضد شوكة(١) الكنعانيين من قبل ثم جاء الإسرائيليون فكان قصارى جهدهم أن يتقدموا فى البلاد هوناً ما كلما واتتهم فرصة ، من هذا الجانب تارة ومن ذاك تارة أخرى ، ولئن ألفوا الظفر ميسراً فى الجبال لقد دحرتهم عجلات الكنعانيين الحربية فى السهول .

« وكان الرب مع يهوذا فملك الجبل ولكن لم يطرد(٢) سكان الوادى لأن لهم مركبات من حديد » .

قضاة ١ : ١٩

وكان « بيت يوسف » يقاتل فى الطليعة تحت إمرة يشوع ، وكذلك شاركت سائر الأسباط فى القتال على صورة من الصور ونازعت بيت يوسف أسلاب الحرب .

وتناسى كاتبو « العهد القديم » هزائم قومهم المتتالية طوال ٤ قرون من عهد يشوع(٣) إلى عهد صموئيل .

« فحارب الفلسطينيون وانكسر إسرائيل وهربوا كل واحد إلى خيمته . وكانت الضربة عظيمة جداً . وسقط من إسرائيل ثلاثون ألف راجل . وأخذ تابوت الله ومات إبنا عالى حفنى وفينحاس » .

١ صموئيل ٤ – ١٠ – ١١

---

(١) خضد العود : كسره . خضد الشجر : قطع شوكه .

(٢) صواب الترجمة هو ... ولكنه لم يقو على طرد سكان الوادى ...

(٣) وقد بلغ هذا البطل فيها بعد شأواً بعيداً عند السامريين وقد أخرجوا فى القرون الوسطى كتاباً غير كنسى ينوه به ، والكتاب باللغة العربية ويغلب أن يكون مترجماً عن العبرية .

٥

موسى الآخر

يجهل كتاب الأسفار المقدسة ما يعتلج فى صدور الشعوب من آلام وما يطوف بأذهانها من آمال ، ومن ثم كانوا لا يلقون بالا إلى كفاحها الجماعى ، فكل ما تم ويتم من منجزات جليلة الشأن إنما قام به – فى عرفهم – الرجال الأبطال . وقد جاء « العهد القديم » متأثراً بهذا النهج الأوتوقراطى ، فقد جعلوا فيه لكل حقبة من الزمن بطلا أوحد نحلوه كل ما وقع وما لم يقع فى تلك الحقبة من جسام الأعمال وضربوا عرض الحائط بما تتابع آنئذ من أعمال البطولة الصغرى .

١ – فقد نسبوا إلى إبراهيم أنه ظعن بأسرته وبعبيده من أور الكلدان إلى أرض كنعان ، وكان الأحجى أن ينسبوا هذه الهجرة إلى عشيرة إبراهيم أو إلى غيرها من أسلاف اليهود ، أولئك الذين كانوا يرابطون على مشارف بلاد الكلدان .

٢ – ونسبوا إلى يوسف أنه أدخل بنى إسرائيل إلى مصر فما فتئوا يفرخون فيها ويفقسون حتى بلغ عددهم قرابة الثلاثة الملايين .

٣ – ونسبوا إلى موسى أنه أخرج هؤلاء جميعاً من مصر المأهولة إلى صحراء سيناء ومضى بهم إلى تخوم فلسطين ، وأنه حباهم فى خلال ذلك شريعة « تامة الصنع » وبذلك كان وحده مخلص بنى إسرائيل .

٤ – وعزوا إلى يشوع بن نون أنه نهض بالمهمة التى تتلو إخراج بنى إسرائيل من مصر وهى إدخالهم فلسطين والفتك بمن يعمرها من

وضغطوا أحداث تلك القرون واختزلوا تلك الحقبة الطويلة لتستوعبها حياة رجل واحد وجيل واحد من الناس . فلم يبق أمام البطل الشعبى الذى زانوا هامته بهالة من السناء وراكموا حول اسمه قصص البطولة الحربية ، مناص من الاستعانة على إنجاز مهمته العويصة باجتراح معجزات باهرة .

وقد لوحظ أنه نحا منحى موسى فى معجزاته وتصرفاته .

١ — فلقد عبر موسى وقومه البحر الأحمر (أو إحدى البحيرات أو أحد أفرع النيل) فوق قعره المجفف .

« ومد موسى يده على البحر ، فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء . فدخل بنو إسرائيل فى وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم » .

خروج ١٤ : ٢١ - ٢٢

وعبر يشوع بأبنائهم نهر الأردن على ذلك النحو .

« وقفت المياه المنحدرة من فوق ... والمنحدرة إلى بحر العربة بحر الملح انقطعت تماما وعبر الشعب مقابل أريحا » .

يشوع ٣ : ١٧

٢ — وأقام موسى فى سفح جبل سينا ١٢ عمودا .

« وبكر فى الصباح وبنى مذبحاً فى أسفل الجبل وأثنى عشر عمودا لأسباط إسرائيل الأثنى عشر »

خروج ٢٤ : ٤

ونصب يشوع ١٢ حجراً فى الجلجال(١) .

« والإثنى عشر حجراً التى أخذوها من الأردن نصبها يشوع فى الجلجال » .

يشوع ٤ : ٢٠

٣ — وأحيا موسى منسك الختان

« وقال الرب لموسى وهرون هذه فريضة الفصح . كل ابن غريب لا يأكل منه . ولكن كل عبد رجل مبتاع بفضة تختنه ثم يأكل منه » .

خروج ١٢ : ٤٣ - ٤٤

وكذلك أحياه يشوع .

« فصنع يشوع سكاكين من صوان وختن بنى إسرائيل فى تل القلف » .

يشوع ٥ : ٣

٤ — واشترع موسى سنة الاحتفال فى عيد الفصح .

« ويكون لكم هذا اليوم تذكارا فتعيدونه عيدا للرب. فى أجيالكم تعيدونه فريضة أبدية . سبعة أيام تأكلون فطيراً ... »

خروج ١٢ : ١٤ - ١٥

---

(١) كلمة « جلجال » معناها دائرة . وفى فلسطين كثير من هذه الدوائر وهى تشبه الدوائر التى أقيمت فى أنحاء شتى من أوربا فى العصرين النيوليثى (الحجرى الحديث) والبرونزى .

« وقال الرب ليشوع » (بعد أن ختن قومه) « اليوم قد دحرجت عنكم عار مصر . فدعى اسم ذلك المكان الجلجال إلى هذا اليوم » .

يشوع ٥ : ٩

واحتفل له يشوع وقومه .

« فحل بنو إسرائيل فى الجلجال وعملوا الفصح فى اليوم الرابع عشر من الشهر مساء فى عربات(١) أريحا . وأكلوا من غلة الأرض فى الغد بعد الفصح فطيرا وفريكا فى نفس ذلك اليوم » .

يشوع ٥ : ١٠ - ١١

٥ — وقال الله لموسى « إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى(٢) » .

« فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى. فقال هانذا . فقال لاتقترب إلى ههنا . اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة .

خروج ٣ : ٤ - ٥

وكذلك قال ليشوع .

«فقال رئيس جند الرب ليشوع إخلع نعلك من رجلك لأن المكان الذى أنت واقف عليه هو مقدس .. »

يشوع ٥ : ١٥

٦ — ونقش موسى شريعته على لوحين من الحجر(٣) .

(١) كلمة « عربات » تعنى سهلا أو بسيطاً من الأرض .

(٢) هذا هو نص الآية ١٢ من سورة طه . وقد اختلف الشراح فى مدلول كلمة « طوى » فقال بعضهم إنها اسم الوادى الذى رأى موسى فيه نارا . وقال آخرون طوى بمعنى ثنى أى أنه نودى نداءين « موسى موسى » أوقدس الوادى مرتين .

(٣) مع ملاحظة أنهم فى ذلك العهد لم يكونوا قد ابتدعوا الخط العبرى بعد .

« ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه فى جبل سيناء لوحى الشهادة لوحى حجر مكتوبين بإصبع الله » .

خروج ٣١ : ١٨

وفعل يشوع قبيل موته ما يشبه ذلك .

« وكتب يشوع هذا الكلام فى سفر شريعة الله . وأخذ حجرا كبيراً ونصبه هناك تحت البلوطة التى عند مقدس الرب . ثم قال يشوع لجميع الشعب. إن هذا الحجر يكون شاهداً علينا لأنه قد سمع كل كلام الرب الذى كلمنا به فيكون شاهداً عليكم لئلا تجحدوا الهكم » .

يشوع ٢٤ : ٢٦ - ٢٧

*

وقد كان على كتبة سفر يشوع كيما يضفطون أعمال ٤ قرون ويصورونها كأنما أتاها كلها يشوع فى بضع سنوات أن يجعلوا يشوع يأتى من المعجزات مثل ما أتاه موسى(١) بل أن يبذه فى ذلك :

١ — فيسقط أسوار أريحا بالنفخ فى الصور(٢) وإطلاق صيحة يخر لها سور المدينة منهاراً .

(١) ولهذا نحل كتاب « العهد القديم » يشوع كثيراً من أعمال موسى، فكان ذلك مما يبعث على الظن أن يشوع هذا ليس شخصاً تاريخيا بل هو أنموذج أسطورى متكرر لموسى . ويعتقد بعض العلماء أن موسى ويشوع والإله الإغريقى ديونيسس أصناء نجموا من أسطورة واحدة ، فإنا نجد فى سيرة ذلك الإله أنهم ساروا به فى موكب وهم يحملونه فى سلة ملأى بالحشائش ، وأنه لما اشتد عوده شق طريقه فى البحر ليعبره هو وجيشه ، وأنه ضرب الأرض بعصاه فنبع منها الماء ، وأنه نقش شريعته فى ألواح من الحجر .

وكلمة «يسوع» هى الصيغة اليونانية للاسم العبرى «يشوع» ومن ثم كان أصحاب النظرية الأسطورية يعتقدون أن قصة يسوع المسيح قد نشأت بتطور أسطورة إله فلسطينى يدعى يشوع كانت تعزى إليه من الأعمال ما بات يعزى بعد ذلك إلى يسوع .

(٢) هو النفير أى البوق يتخذ من قرن الكبش .

« وكان حين سمع الشعب صوت البوق أن الشعب هتف هتافا عظيما فسقط السور فى مكانه وصعد الشعب إلى المدينة كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة وحرموا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف » .

يشوع ٦ : ٢٠ - ٢١

٢ ـــ ويرمى أعداء اليهود بحجارة من سجيل[١] .

« وبينما هم هاربون من أمام إسرائيل وهم فى منحدر بيت حورون رماهم الرب بحجارة عظيمة من السماء » .

يشوع ١٠ - ١١

٣ ـــ ثم هو لا ينتهى فى عبثه بنظام الكون عند حد، فيأبى إلا أن يقف الشمس والقمر عن المسير فى فلكيهما حتى يفرغ من ذبح الأموريين فى وضح النهار .

« حينئذ كلم يشوع الرب يوم أسلم الرب الأموريين أمام بنى إسرائيل وقال أمام عيون إسرائيل ياشمس دومى على جبعون وياقمر على وادى أيلون . فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب

---

(١) السجيل : حصى من طين متحجر ، وفى سورة الفيل أن الله أنقذ الكعبة فى الجاهلية من جيش أبرهة الحبشى المسيحى وكان يريد هدمها فوق رءوس الاصنام التى يحفل بها فناوؤها فسير على ذلك الجيش جماعات من الطير تسقط عليهم هذه الأحجار المهلكة ، وقيل إن ذلك كان فى العام الذى ولد فيه الرسول أو قبل ذلك بقليل .

من أعدائه[١] » .

يشوع ١٠ : ١٢ - ١٣

---

(١) تحتوى القصص الشعبية المتخلفة عن الشعوب القديمة على غير قليل من الحكايات المشابهة ، فقد وقف باكوس دورة الشمس والقمر .

وفى أسطورة هندية أن الشمس أمسكت عن الدوران لتستمع إلى المرثية التى ألقاها أرجوان فى تأبين بوذا عقب موته .

وعمد قديس بوذى اسمه مانانيا إلى القمر فشقه ووقف الشمس عن أن تبزغ .

وكذلك وقفت الشمس مكانها فى قصة شعبية صينية ، وفى أخرى مكسيكية ،

وحدث على العكس من ذلك فى إلياذة هوميرس أن الإلاهة هيرى جعلت الشمس تسرع بالغروب ، ومن الواضح أنه لو حدث شىء من ذلك لشهده العالم أجمع .

وقال بعض الشراح فى تفسير الآية :

« اقتربت الساعة وانشق القمر » . القمر ١

إن المشركين سألوا الرسول آية فأشار إلى القمر فانشق وقال آخرون إنها إنما تعنى أنه سينشق يوم القيامة .

ومهما يكن من أمر ، فقد كان على يشوع ليطيل أمد النهار أن يقف الأرض ــ لا الشمس ــ عن الدوران ، بيد أن يشوع (أو بالأحرى كاتب السفر المنسوب إليه) كان يعتقد أن تعاقب الليل والنهار رهن بحركة الشمس فى دورانها حول الأرض التى هى ثابتة مكانها .

قال مارتن لوثر مؤسس المذهب البروتستانتى (ولعل ذلك كان فى معرض تعليق له على ما اكتشفه كوبرنكس سنة ١٥٤٣م من أن الأرض هى التى تدور حول الشمس لا العكس :

لقد أصاخ الشعب سمعاً لمشتغل بالتنجيم برز فجأة يزعم أن الأرض هى التى تدور وليست السموات ولا الشمس والقمر . ولا غنى لمن يود أن يبدو ماهرا من أن يبتكر نظاما جديدا يكون ــ بداهة ــ خير الأنظمة كافة . إن هذا المأفون يود أن يقلب علم الفلك كله رأساً على عقب ، ولكن الأسفار المقدسة تنبئنا أن يشوع أمر الشمس أن تقف ولم يأمر الأرض .

٦

مولد مخلص اليهود

هنالك قصة فحواها أن فرعون موسى تعاظمه ازدياد العبريين فى العدد والقوة فرأى أن يتقى خطرهم باستئصال شأفتهم ، فدعا إليه القابلتين العبرانيتين (اللتين لا ثالثة لهما بين ٣ ملايين من بنى إسرائيل منبثين فى رقعة فسيحة من الأرض) وطلب إليهما أن يقتلا كل من يولد على أيديهما من ذكور مواليد بنى جنسهما .

« وكلم ملك مصر قابلتى العبرانيات اللتين اسم إحداهما شفرة واسم الأخرى فوعة . وقال : حينما تولدان العبرانيات وتنظرانهن على الكراسى ، إن كان ابنا فاقتلاه وإن كان بنتا فتحيا » .

خروج ١ : ١٥ - ١٦

هذه القصة الساذجة التى تلبس عاهل مصر العظيم ثوب العجز عن التخلص من عبيده المناكيد بإجراء حاسم مع اقتناعه بشدة خطرهم فيسف إلى الائتمار هو وقابلتان فى ذلك المطلب السخيف ، هذه القصة هى الصورة اليهودية لأسطورة طالما صحبت مولد المخلصين لتضفى عليهم الجلال والبهاء(١) .

(١) ومن ذلك أن الملك الطاغية كنزا كان يطلب حياة الإله الطفل كرشنا فهربت به أمه مايا هى وزوجها إلى بلدة ماطورة . وأن الملك هيرودس كان يطلب حياة الإله الطفل يسوع فهربت به أمه ماريا هى وخطيبها إلى بلدة المطرية بمصر .
وحدث فى مصر قبل ذلك أن الملك الطاغية أموليوس كان يتعقب الطفل الإلهى أو زيريس فأخفاه أبواه فى موضع على إحدى شعب النيل .
=

وتقول قصة التوراة إن القابلتين لم تستجيبا إلى الرغبة الملكية السامية فأعفاهما فرعون من إنفاذ أمره وبذلك انحسم الموضوع .

وقد وضعت هذه القصة المتهافتة لتكون أساسا لأسطورة نجاة موسى بن عمرام وحده دون غيره من بنى إسرائيل بطريقة عجيبة ، إذ أن أمه مضت به وله من العمر ٣ أشهر و

وأخذت له سفطا(١) من البردى وطلته بالحمر(٢) والزفت ووضعت

= وحدث مثل ذلك أيضاً لحورس فى مصر ، وزرادشت فى فارس ، وألسيدس فى اليونان ورومولوس فى إيطاليا ، وهلم جرا .
ونقل الطبرى فى كتابه « السلوك فى تاريخ الدول والملوك » عن عن . . . عن ابن اسحق أنه قال :
أتى أصحاب النجوم نمرود فقالوا له تعلم أنا نجد فى علمنا أن غلاما يولد فى قريتك هذه يقال له إبراهيم يفارق دينكم ويكسر أوثانكم فى شهر كذا وكذا من سنة كذا ، فلما دخلت السنة التى وصف أصحاب النجوم لنمرود ، بعث نمرود إلى كل امرأة حبلى بقريته فحبسها عنده إلا ما كان من أم ابراهيم عليه السلام امرأة آزر فإنه لم يعلم بحبلها وذلك أنها كانت جارية حدثة فيما يذكر لم يعرف الحبل فى بطنها فجعل لا تلد امرأة غلاماً فى ذلك الشهر من تلك السنة إلا أمر به فذبح. فلما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلا إلى مغارة كانت قريباً منها فولدت فيها إبراهيم عليه السلام وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود ثم سدت عليه المغارة ، ثم رجعت إلى بيتها ثم كانت تطالعه فى المغارة لتنظر ما فعل فتجده حيا يمص إبهامه ، يزعمون — والله أعلم — أن الله جعل رزق إبراهيم فيها ما يجيئه من مصه . ولم يمكث إبراهيم فى المغارة إلا خمسة عشر شهراً حتى قال لأمه أخرجينى أنظر . أ هـ .
وهذه القصة الطريفة لا أساس لها فى التوراة ولعلها من ابتكار بعض أصحاب ابن عباس من اليهود الذين يروجون الخرافات الإسرائيلية .

(١) السفط: وعاء كالجوالق (الشوال) أو كالقفة، ويستعار للتابوت الصغير، و — وعاء من قضبان الشجر ونحوها توضع فيه الأشياء كالفاكهة والثياب (مولد)
(٢) الحمر : القطران .

الولد فيه ووضعته بين الحلفاء على حافة النهر(١) .

خروج ٢ : ٣

وهكذا نجد أن موسى ، وإن يكن قد ولد بطريقة سوية غير خارقة كولادة يشوع ، قد أنقذ من الهلكة مثله بطريقة خارقة .

ويرى بعض الباحثين أن موسى قد ألقى به فى اليم لا بغية إنقاذه بل للتثبت من صحة نسبه ، فقد كان المألوف فى ذلك الزمن الجاهلى أن يمتحن الطفل الذى يستراب بصحة نسبه بأن يلقى به فى اليم ، فإذا طفا على وجه الماء رأوا فى ذلك برهانا على شرعية مولده وإذا غرق عدوه نغلا(٢) .

ومثار التظنن فى نسب موسى أن أباه عمرام (عمران) تزوج عمته يوكابد وأولدها إياه .

(١) وعند المسلمين أن أم موسى ألقت بتابوته فى النهر لا على حافته ، وهذا يجعل لتقيير التابوت بالقار معنى ، كما أنه يوائم الأسم الذى أطلقته عليه أبنة فرعون .
« ودعت أسمه موسى وقالت إنى انتشلته من الماء » خروج ٢ : ١٠

(٢) نغل الأديم : فسد فى الدباغ . والنغل : ولد الزنية لفساد نسبه . والبغل : كل حيوان أبوه من نوع وأمه من آخر .
وهذا الامتحان لصحة النسب بإلقاء الطفل فى اليم لا يركن إلى دعام من العلم ، وهو يذكرنا بما كانوا يعمدون إليه لاستكناه أمر المرأة التى يستريب زوجها بأمانتها الزوجية ، إذ يأخذها إلى الكاهن ويوفيه رسوم الامتحان فيقوم الكاهن ببعض الحركات ويتمتم ببعض الألفاظ ثم يسقيها ماء ملوثا بالتراب .
« ومتى سقاها الماء فإن كانت قد تنجست وخانت رجلها يدخل ماء اللعنة للمرارة فيرم بطنها وتسقط فخذها فتصير المرأة لعنة فى وسط شعبها . وإن لم تكن المرأة قد تنجست بل كانت طاهرة تتبرأ وتحبل بزرع » . عدد ٥ : ٢٧ ـ ٢٨

« وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له فولدت له هرون وموسى »

خروج ٦ : ٢٠

وكان اليهود يعدون مثل هـذا الزواج زنا بين المحارم وذلك مما سجلته الشريعة الموسوية فيما بعد .

« عورة أخت أمك أو أخت أبيك لا تكشف : إنه قد عرى قريبته . يحملان ذنبهما » .

لاويون ٢٠ : ١٩

كانت أسطورة الطفل الطافى على صفحة الماء ذائعة بين جميع الشعوب . ومن المحتمل أن تكون قصة نجاة موسى من الموت على هذا النحو منتحلة من قصة سرجون الأب أول ملوك الساميين وكان يحكم بابل قبل المسيح بخمسة وعشرين قرنا ، وتقول قصته أنه وضع وهو طفل فى سلة من الحلفاء مطلية بالحمر أقرت بين الأعشاب النامية على ضفة الفرات ، فحمله النهر إلى حيث أنقذه أحد الناس واستخدمه فى بستانه ، ثم هامت به الإلاهة عشتار فتزوجته ورفعته إلى عرش المملكة فحكمها ٤ سنوات .

وقد اختار كاتب سفر الخروج ، وهو يحوك(١) هذه القصة حول موسى ، أن ينزل :

« أبنة فرعون(٢) إلى النهر لتغتسل وكانت جواريها ماشيات على جانب النهر . فرأت السفط بين الحلفاء فأرسلت أمتها وأخذته ولما

(١) حاك الثوب : نسجه .
(٢) ذكرت القصص الشعبية أن اسمها مريس

فتحته رأت الولد وإذا هو صبى يبكى فرقت له وقالت هذا من أولاد العبرانيين ».

خروج ٢ : ٥ — ٦

وقد كانت ابنة فرعون تعلم بما يقض مضجع أبيها من أمر أطفال العبريين ولكن ذلك لم يحجزها عن أن تتبنى ذلك الطفل وأن تطلق عليه أسما عبريا غير معروف بين أسماء العبريين ابتدعته لتشير به إلى حادثة عثورها على ذلك الطفل فى مياه النهر .

« ودعت اسمه موسى(١) وقالت أنى انتشلته من الماء » .

خروج ٢ : ١٠

وطلبت ابنة فرعون ظئرا(٢) للطفل فجاءوها بأمه فأرضعته ثم بانت عنه ففدونا لا نسمع عنها خبرا .

وهذه القصة إن دلت على شىء فإنها لتدل على أن المصريين ظلوا سادرين فى تسامحهم إزاء العبريين ولم يرعووا عن ذلك حتى بعد أن شب الطفل اليهودى كما وانتقض على الذين أحسنوا إليه وانقلب يكيل لهم الضربات واحدة تلو أخرى ، فآف(٣) زرعهم وأوبق ضرعهم

---

(١) يرجح بعض الباحثين أن هذا الاسم يعنى أن صاحبه من جهـة مسرى (musri) المجاورة لجبل حوريب ، وقد أوطنت بها إحدى قبائل بنى إسرائيل على حين اتجهت سائر القبائل صوب كنعان .

ومما هو جدير بالذكر أن الوصايا العشر المدونة فى الإصحاح المتمم للعشرين من سفر الخروج أنزلت على موسى فى سيناء ثم أنزلت عليه مرة أخرى فى حوريب بصيغة جديدة هى التى فى الإصحاح الخامس من سفر التثنية .

(٢) الظئر : المرضعة لغير ولدها ، يقال ظأرت المرأة والناقة ونحوها على ولد غيرها : عطفت عليه .

(٣) أوف الزرع : أصابته الآفة . آفة : أضره وأفسده .

واصطلم أبكارهم . أجل ، لم يرعووا عن تسامحهم بل تمادوا فيه فأعاروهم حلى الذهب والفضة فذهبوا بها إلى غير رجعه، وقد تمت هذه السرقة بأمر موسى وبعون من رب موسى .

« وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى . طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا . وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعاروهم . فسلبوا المصريين » .

خروج ١٢ : ٣٥ — ٣٦

وقد قوبلت هذه الخطة اليهودية ـ الموسوية بالرضا والتأييد من بنى إسرائيل، فلم يكن اقترافهم السرقة وليد نزعة عابرة أو استجابة لإغراء طارىء ، بل هو فى تقاليدهم خطة قومية ثابتة رسمها لهم إلههم فلما أنفذوها فى دقة ومضاء سجل لهم هذه المفخرة مزدهيا بها فى كتابه المقدس .

وقد كان العبريون ، كمن فى مستواهم من قبائل شتى الجاهل ، يحكمون بالقتل على من يسرق فى داخل نطاق القبيلة ولكنهم يشجعون السرقة من القبائل الأخرى ، وعندهم أن يهوه خلق شتى الأمم لكى يجعل أموالهم غنيمة للأسرائيليين .

٧

الهجرة

« وحدث فى تلك الأيام لما كبر موسى أنه خرج إلى إخوته لينظر فى أثقالهم . فرأى رجلا مصريا يضرب رجلا عبرانيا من إخوته . فالتفت إلى هنا وهناك ورأى أن ليس أحد فقتل المصرى وطمره فى الرمل » .

خروج ٢ : ١١ — ١٢

واعتقد موسى أن الجريمة التى طوع له التعصب اقترافها « جريمة كاملة » ارتكبها مستوفيا وسائل المحاذرة والتحوط ثم تخلص من جسم الجريمة فلم تبق ثم ثغرة تفضى إلى مؤاخذته بها ، واطمأن إلى أن الدم المصرى الزكى الذى خضب يديه قد طل وعفى النسيان على مصرع صاحبه ، فخرج فى اليوم التالى يجوس مختالا خلال بنى جلدته فوجد اثنين منهما يشتجران فانتصر لأحدهما على صاحبه ، فصاح به الآخر :

« من جعلك رئيساً وقاضياً علينا . أمفتكر أنت بقتلى كما قتلت المصرى . فخاف موسى » .

خروج ٢ : ١٤

ولما استشعر ما هو فيه من حرج مركزه بادر بالفرار ومغادرة الديار ، ولم يزل يستحث الخطى حتى بلغ أرض مدين حيث دخل فى أسرة كاهنها شيخ العرب رعوئيل .

« فلما أتين إلى رعوئيل أبيهن قال ما بالكن اسرعتن فى المجىء اليوم » .

خروج ٢ : ١٨

وبذلك يكون موسى قد زايل القصر الملكى الذى كان يحظى فيه بالإعزاز والإجلال وينعم بمباهج (البلاط) وهجر العاصمة الكبيرة التى تزخر شوارعها بالحركة وتنبض بالحياة ، ونأى عن ندوات العلماء ومجالس المفكرين وكان يناقشهم فيها أحاديث شائقة ومحاضرات ممتعة ويقبس منهم حكمة وهدى .

وطوح بنفسه فى ذلك المهمة(١) الموحش ليفقد فيه من عمره أربعين عاما فريداً بعيداً يطوى الليل فى خباء(٢) من الشعر ثم يصبح ليرعى أغنام حميه .

« وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون(٣) حميه كاهن مديان » .

خروج ٣ : ١

(١) المهمة : المفازة البعيدة — والبلد القفر .

(٢) الخبـاء : بيت من وبر أو شعر أو صوف يكون على عمودين أو ثلاثة وما فوق ذلك فهو بيت ، وفى الحديث أنه أتى خباء فاطمة .

(٣) هنا أصبح اسم الكاهن يثرون بديلا من رعوئيل .

ذكر الطبرى أن ذلك الكاهن هو المعروف باسم شعيب وأنه كان ضريرا .

« وإنا لنراك فينا ضعيفا » . هود ٩١

وأنه كان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه فيما يراد بهم .

ونقل عن قتادة أنه بعث إلى أمتين : إلى قومه أهل مدين وإلى أصحاب الأيكة . وكانت الأيكة من شجر ملتف ، فلما أراد الله عز وجل أن يعذبهم بعث عليهم حرا شديدا ورفع لهم العذاب كأنه سحابة فلما دنت منهم خرجوا إليها رجاء بردها فلما كانوا تحتها مطرت عليهم نارا .

ويقول آخرون إن شعيبا هو نبى شعب الأيكة (أى أهل الغابة) الذى دعى فيما بعد باسم مدين ، وأنه لا صلة له بيثرون حمى موسى . ويذهب بعض المفسرين إلى أن موسى لم يدرك شعيباً ، إذ أن القرآن ذكر نفرا من الأنبياء بينهم شعيب ثم قال :

وكان يضرب فى تلك الفيافى متوكئا على محجنته(١) متأملا فى مستقبله المضاع مفكراً فى أبناء قبيلتـه الذين واجه هذا المصير من أجلهم والذين أمسى يراهم فى أحلامه يكدحون ويئنون مما هم فيه مسخرون .

وقد كان أولئك البدو الذين أوى إليهم هم أيضا أبناء لأبرام(٢) فطفقوا يقصون عليه أساطير الأيام الغابرة ويحدثونه حديث مشايخهم الكبار الذين ثوت جثثهم فى كنعان ، ويدلون إليه بأنباء الإله الذى كان يعبده أبوه ، فارتد الرجل إلى عقيدة الصحراء .

وكان لتلك الأصقاع فيه أثر كأثر السحر ، ففيها تل يدعى « جبل الله » كان العرب يحجونه ويخلعون عنده نعالهم ، وفيها جبال جسام شواهق شاخصة إلى السماء بقللها(٣) الجرانيتيه تتهور(٤) منها أجرف(٥) من الرمال والأحجار باعثة فى الفضاء هزيما كثيبا كأنه قصف مدافع يدوى من مكان قصى . ويسمع الصوت البشرى فى ذلك الجو من أبعاد سحيقه وقد تضخم ورجع صدى له هدير وزئير .

= « ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه ... »
الأعراف ١٠٣

والملأ : الأشراف يملأون العين مهابة .

(١) المحجن والمحجنة : العصـا المنعطفة الرأس كالصولجان . يقال حجن العود : عطفه .

(٢) فقد رزق أبرام من امرأته الجديدة قطورة أولادا كان أحدهم مديان كما هو مذكور فى (تكوين ٢٥ : ١ ـ ٢) .

(٣) القلة : أعلى الرأس والسنام والجبل .

(٤) هار وانهار وتهور البناء ونحوه : تهدم .

(٥) الجرف (بالضم وبضمتين) : ما تجرفه السيول وأكلته من الأرض ومنه « فلان يبنى على جرف هار » .

وضرب موسى بطرفه من أعلى الجبل إلى ما يليه غربا فوقع بصره على البيداء التى تفصل بينه وبين كنعان موطن أسلافه فجعلها مناط أمله ، وأخذت تطرأ على ذهنه أفكار جديدة وبدأ يرى فى اليقظة أضغاث الأحلام وتتراءى له شجيرات يكتنفها الدخان وينبعث منها اللهب وهى لاتحترق(١) ، وتتناهى إليه أصوات لا تصحبها أشكال . وخيل إليه مرة أنه سمع هاتفا يطلب إليـه أن يخلع نعليه فتداخله الخوف ولج به الذهول وشرود الفكر وطالت به الغيبوبة : لقد أصبح يرى صوراً وهمية ويتخيل أخيلة كواذب وجملة القول إنه أصبح نبيا . وزينت له نفسه أن الإله الذى عثر هو عليه حديثاً إله أبرام وإسحق ويعقوب ، قد اصطفاه لتحرير قومه من طغيان سادتهم ولإخراجهم من مصر كى يستولوا على أرض تفيض لبنا وعسلا .

وبذلك تنتهى مرحلة هامة من حياة موسى ، مرحلة التخيلات والتوهمات لتبدأ مرحلة تالية هى مرحلة الديماجوجية(٢) والسحر والشعوذة وهى الأشياء التى تصاحب ظهور كل دين .

---

(١) « وجاء الى جبل الله حوريب . وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط العليقة . فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق .. »
خروج ٣ : ١ ـ ٢

ويفسر بعضهم أحجية العلقة المشتعلة بأن يهوه كان فى مبدأ أمره إلها للنار .

(٢) الديماجوج (**Demagogue**) هو زعيم الغوغاء والمقصود بالديماجوج : المقدرة على التأثير فى الجماهير وتهييج الدهماء .

٨

التنبـــؤ

كان على موسى أن يفرض زعامته على العبرانيين فى مصر عندما يصل إليهم ، وأن يظفر منهم بالاعتراف بهذه الزعامة ، وذلك بأن ينهى إليهم ، هو الغريب عنهم ، أن إله آبائهم بعث به إليهم .

اسم الله

وكان يتوقع أن يسأله قومه عن اسم الإله الذى بعث به إليهم ، وقد جرى كبار رجال الدين فى شتى الأديان البدائية على إخفاء اسم إلههم سراً محجوبا عن عشيرتهم ، فإذا اقتضاهم الأمر أن يشيروا إليه عبروا عنه بكلمة مثل « لفظ الجلالة » .

« فقال موسى لله ها أنا آتى إلى بنى إسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلنى إليكم ، فإذا قالوا لى ما اسمه . فماذا أقول لهم . فقال الله لموسى أهيه الذى أهيه(١) . وقال هكذا تقول لبنى إسرائيل : أهيه أرسلنى إليكم » . خروج ٣ : ١٣ - ١٤

---

(١) أى « أنا الذى أنا » . وفى كتاب الفرس المقدس أن أهورامزدا قال لزرادشت « أنا الذى هو أنا » وفى كتاب الوثنى المقدس عند قدماء المصريين كان يرمز إلى الحياة بكلمة « عنخ » أى ذاك الذى يعيش . وقد يكون لهذا الأسم العبرانى صلة بقولهم .

« قال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم . قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » .

يوحنا ٨ : ٥٨

ولج موسى فى الاستفسار عن اسم إلهه وألح عليه فى الإفصاح عنه صراحة فأجاب إلهه طلبته .

« وقال الله أيضاً لموسى . هكذا تقول لبنى إسرائيل . يهوه إله آبائكم : إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم . هذا اسمى إلى الأبد ، وهكذا ذكرى إلى دور فدور » .

خروج ٣ : ١٥

« ثم كلم الله موسى وقال له أنا الرب . وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأنى الإله القادر على كل شىء(١) وأما باسمى يهوه فلم أعرف عندهم » . خروج ٦ : ٢ - ٣

واطمأن موسى إلى أن هذا الاسم الحركى لله الذى سيكشف عنه لبنى جنسه سيقنعهم بأنه يمثل إلهاً حقيقياً وبأن هذا الإله رسم له أن يعود إلى مصر ليخرجهم منها ويقودهم إلى فلسطين ودبر فى نفسه أن يقول لهم إن أهيه هذا الذى غير أسمه فجعله يهوه هو إله إبراهيم وإسحق ويعقوب ، فإذا لم يكف ذلك لإقناعهم باتباعه فليلق فى وهمهم أنه سيشخص بهم إلى أرض تفيض لبنا وعسلا فلا يلبثون أن تتحلب(٢) أفواههم وتهن مقاومتهم فيسلموه مقادهم ، وعندئذ يبدأ الهجوم على مصر من داخلها .

الترجمان

كان موسى يعرف من نفسه العى والفهاهة فهو أحرى ألا يتحدث

---

(١) وهو فى العبرية الشداى (Elshaddai) .

(٢) تحلب العرق : سال : تحلب فه : سال بالريق .

إلى أحد من عامة الناس فضلا عن أن يخطب فى جموع الشعب ويوجه النذر الصادرة إلى فرعون العظيم . وقد رأى موسى أن يراجع يهوه فى ذلك .

« فحمى غضب الرب على موسى وقال أليس هرون اللاوى أخاك . أنا أعلم أنه هو يتكلم وأيضاً هاهو خارج لاستقبالك ، فحينما يراك يفرح بقلبه . فتكلمه وتضع الكلمات فى فمه . وأنا أكون مع فمك ومع فمه وأعلمكما ماذا تصنعان . وهو يكلم الشعب عنك . وهو يكون لك فما وأنت تكون له إلها . وتأخذ فى يدك هذه العصا التى تصنع بها الآيات » .

خروج ٤ : ١٤ — ١٧

ودعك من هذه التعبيرات الفجة « تضع الكلمات فى فمه » « أنا أكون مع فمك ومع فمه » « أنت تكون له إلها » ، التى تبين لنا أن يهوه كان يشكو من العى فى التعبير ما شكا موسى ، وتعال تر من أين نجم هرون هذا ؟ إن كاتب القصة لم يذكر لنا إلى الآن طرفا من أمره ، وقد عهدنا موسى منبت الصلة بأهله منذ فصاله(١) . وها هوذا الآن قد بلغ الثمانين من عمره .

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

وهى إذا كانت قد أحوجت سمع زهير بن أبى سلمى إلى ترجمان فقد أحوجت لسان موسى إلى ترجمان . الخطب هين . فليظهر الترجمان

(١) فصل المولود عن الرضاع : فطمه . الفصال : فطام المولود ، ومنه « وحمله وفصاله ثلاثون شهراً » . الأحقاف ١٤

وألهم يهوه هرون أن يخف إلى لقاء أخيه فى جبل حوريب بشبه جزيرة سيناء ، وياله من مكان يسهل فيه اللقاء .

« فذهب والتقاه فى جبل الله وقبله »

خروج ٤ : ٢٧

ووفد موسى هناك بعد أن آذنه يهوه بأن جريمته فى مصر قد سقطت بمضى المدة .

« مات جميع الذين كانوا يطلبون نفسك » .

خروج ٤ : ١٩

الشعوذة

وكتم نبى الله موسى عن حميه نبى الله يثرون خبيئة أمره وعلة سفره بل كذب عليه(١) قائلا :

« أنا أذهب وأرجع إلى إخوتى الذين فى مصر لأرى هل هم بعد أحياء » .

خروج ٤ : ١٨

« فأخذ موسى امرأته وبنيه وأركبهم على الحمير(١) ورجع إلى أرض مصر . وأخذ موسى عصا الله فى يده » .

خروج ٤ : ٢٠

كان موسى قد حذق فى مصر أفانين السحر وملك من أعنته ما يكفل

(١) لقد اركبهم جميعاً على حمار واحد كما هو واضح فى الترجمة الانجليزية (upon an ass) .

له أن يسترعى انتباه قومه له ويجذبهم نحوه ويلفهم حوله . ورأى أن يجرب ألاعيبه أمام شيوخ القبيلة ورؤساء البيوتات قبل أن يجازف بعرضها على فرعون .

« ثم مضى موسى وهرون وجمعا جميع شيوخ بنى إسرائيل . فتكلم هرون بجميع الكلام الذى كلم الرب موسى به وصنع الآيات أمام عيون الشعب فآمن به الشعب » .

خروج ٤ : ٢٩ — ٣٠

وحظى موسى وأخوه بالمثول بين يدى فرعون . وليس فرعون مصر بملك صغير كملوك الإسرائيليين والفلسطينيين ممن لاتزيد مملكة كل منهم على رقعة محدودة السعة كالتى يحكمها أحد « العمد » فى ريف مصر هذه الأيام . وعمد النبيان الشقيقان إلى الكذب على فرعون فزعما أنهما يلتمسان المضى بالعبريين فى البرية ٣ أيام ليذبحوا الاضاحى لإلاههم القومى .

« فالآن نمضى ثلاثة أيام فى البرية ونذبح للرب إلهنا » .

خروج ٣ : ١٨

وذلك على حين أنهما كانا قد بيتا النية على أن يفصلا بهم عن مصر إلى غير رجعة .

ولم يكن الإسرائيليان الشقيقان معنيين أن يحقا الحق ويزهقا الباطل بل كان أكبر همهما أن يجلوا للعيون ما يحذقان من فنون الشعوذة وانبرى موسى يبدى بين يدى فرعون ما كان أعـده من صنوف التعاجيب ، فجعل عصاه تستحيل حية ثم أعادها سيرتها

الأولى(١) فلم تبهر اللعبة فرعون لأنها لم تكن بدعا .

« فدعا فرعون أيضا الحكماء والسحرة . ففعل عرافو مصر أيضا بسحرهم كذلك . طرحوا كل واحد عصاه فصارت العصى ثعابين »

خروج ٧ : ١١ — ١٢

ولكن كيف تسنى لهم ذلك ؟ إن كاتب السفر لايحدثنا فى أمر خدعة بل هو يذكر فى صراحة أن العرافين والسحرة بعثوا الحياة فى العصا فإذا هى حية تسعى، فهل تم لهم ذلك بمعونة الله أو بمعونة الشيطان؟

فإذا كان الله هو صاحب الفضل فى ذلك فلم انتهك جل جلاله قوانين الطبيعة هذا الانتهاك الخطير مرضاة لفرعون وسحرته ؟

وإذا كان الشيطان هو الذى سنى لهم ذلك ، فهل فى طوق الشيطان أن يخلق الحياة ويبعثها فى غير الحى ويحبو الجماد بالروح ؟

وعرض موسى لعبتين أخريين هما تحويل الماء دما وركوب البلاد بجحفل من الضفادع، فنهض سحرة مصر أيضا بمثل ذلك ولكن موسى

---

(١) وهذا يذكرنا بما صنعه موسى بعصا أخيه هرون إذ وضعها بين عصى رؤساء الأسباط أمام الرب أى أمام الصنم الحجرى الثاوى فى خيمة الشهادة ، فازدهرت وأورقت .

« وفى الغد دخل موسى إلى خيمة الشهادة وإذا عصا هرون لبيت لاوى قد أفرخت . أخرجت فروخا وأزهرت زهرا وأنضجت لوزا » .

عدد ١٧ : ٨

وبذلك أفحم موسى منافسى شقيقه وبين لرؤساء الشعب أن الله اختار هرون وحده من بينهم لينفرد هو وأولاده وحفدته من بعده إلى أبد الآبدين بأعمال الكهانة وما تفيئه من كسب .

وفى أساطير الرومان أن رومولوس (مؤسس روما) أطلق رمحه فى الهواء فمضى بونا شاسعاً ثم سقط على تل الأفنين حيث استحال شجرة مورقة .

كان أرسخ منهم قدما فى هذه الفنون ، وكان قد أعد فى جعبته ألاعيب أخرى لا يعرفونها فلم يستطيعوا مباراته فيها .

ومن الواضح أن براعة موسى فى تحويل الأشياء الكريمة أشياء خسيسة ثم إعادتها إلى ما كانت عليه ، إن دلت على شىء فإنما تدل على مهـــارته فى هذا الضرب من السحر ولكنها لا تدل بحال على أنه نبى إسرائيل . وفى استطاعة المنـوم المغناطيسى أن يوهم امرءا ما أن .

« يده برصاء مثل الثلج »

خروج ٤ : ٦

ثم يوهمه بعد ذلك أنها .

« قد عادت مثل جسده »

خروج ٤ : ٧

وفى استطاعة اللاعبين أن يخرجوا من قلانسهم أرانب فلا يدل ذلك على أن فى مقدور أى منهم أن يحيى الموتى وإنما يدل على طول باعهم فى بعض فنون المخاتلة عن النفس والتغرير بالناس .

لو أن الإسرائيليين الشقيقين قالا لفرعون قولا لينا وعملا من بادىء الأمر على إقناعه بصدق رسالتهما لكان من الممكن أن تنتهى المشكلة بسلام ، ولو أنهما أردياه قتيلا بادىء بدء لبلغت القصة ختامها دون ما إطالة أو تمطيط بيد أنهما كانا يرغبان فى الإفاضة والإسهاب ليسفر ذلك عن مأساة بالغة البشاعة تثلج صدور الإسرائيليين ، ومن ثم عمد يهوه إلى تقسية قلب فرعون وإكسابه غلظا .

« ولكنى أشدد قلبه حتى لا يطلق الشعب » .

خروج ٤ : ٢١

خروج ١٠ : ٢٧

خروج ٧ : ٣

خروج ١٠ : ١ - ٢

خروج ١٤ : ٤

« وها أنا أشدد قلوب المصريين حتى يدخلوا وراءهم . فأتمجد بفرعون وكل جيشه بمركباته وفرسانه فيعرف المصريون أنى أنا الرب حين أتمجد بفرعون ومركباته وفرسانه » .

خروج ١٤ : ١٧ - ١٨

وإنما قسى يهوه قلب فرعون ليتيح لنفسه فرصة البطش بالمصريين، فهو يعنيهم بالوباء تلو الوباء ، حتى إذا مارضى فرعون أن يطلق اليهود طلب موسى مطلبا جديدا لم يكن فيما احتواه ملتمسه الأول ، فأصر على أن .

« تذهب مواشينا أيضا معنا . لا يبقى ظلف »

خروج ١٠ : ٢٦

ولا يملك فرعون إلا أن يبدى امتعاضه من المطلب الجديد فتتهيأ فرصة جديدة ليهوه كى يبطش بالمصريين .

٩

الضربات الموسوية العشر

أهوى يهوه وكليمه موسى إلى المصريين بهذه الضربات الموجعة .

١ — ضربة الدم

« ففعل هكذا موسى وهرون كما أمر الرب . رفع العصا وضرب الماء الذى فى النهر أمام عينى فرعون وأمام عيون عبيده فتحول كل الماء الذى فى النهر دما . ومات السمك الذى فى النهر وأنتن النهر فلم يقدر المصريون أن يشربوا ماء من النهر . وكان الدم فى كل أرض مصر . وفعل عرافو مصر كذلك بسحرهم . فاشتد قلب فرعون فلم يسمع لهما كما تكلم الرب . . وحفر جميع المصريين حوالى النهر لأجل ماء ليشربوا لأنهم لم يقدروا أن يشربوا من ماء النهر » .

خروج ٧ : ٢٠ - ٢٤

٢ — ضربة الضفادع

« فقال الرب لموسى قل لهرون مد يدك بعصاك على الأنهار والسواقى والآجام واصعد الضفادع على أرض مصر . . . وفعل كذلك العرافون بسحرهم وأصعدوا الضفادع على أرض مصر »

خروج ٨ : ٥ - ٧

٣ — ضربة القمل

« مد هرون يده بعصاه وضرب تراب الأرض فصار البعوض على

الناس وعلى البهائم . كل تراب الأرض صار بعوضا فى جميع أرض مصر » .

خروج ٨ : ١٧

بيد أن القوم لم يبعضوا(١) بل قملت(٢) رؤوسهم وتفشى القمل مواشيهم على غير المعهود .

٤ — ضربة الذباب

« فدخلت ذبان كثيرة إلى بيت فرعون وبيوت عبيده وفى كل أرض مصر خربت الأرض من الذبان » .

خروج ٨ : ٢٤

وذلك باستثناء المنطقة الإسرائيلية فى أرض جاسان شرقى فرع دمياط .

٥ — وباء المواشى

« فها يد الرب تكون على مواشيك التى فى الحقل ، على الخيل والحمير والجمال والبقر والغنم وباء ثقيل جدا » .

خروج ٩ : ٣

---

(١) بعض القوم (بالبناء للمجهول) : آذاهم البعوض .

(٢) قمل البدن : تولد فيه القمل .

والترجمة الانجليزية للآية الآنفة الذكر هى :

(and it became lice to man and in beast,)

ومنها يتضح أن الذى ركب الناس والبهائم لم يكن بعوضا بل كان قملا .

وقد استعمل القرآن فى هذا الموضع كلمة قمل . ومن المعلوم أن القرآن كتب فى عهد الخليفة عثمان خلوا من علامات الضبط ثم استحدث العرب هذه العلامات فضبطت هذه الكلمة بضم القاف وتشديد الميم مفتوحة ، وقد يكون المراد بالقمل القمل أو حشرة أخرى كالهابوش الذى يكثر على ضفاف النيل فى موسم الفيضان . وهذا ما سهل لمترجمى التوراة إلى العربية أن يستبدلوا بكلمة القمل كلمة البعوض . والبعوض أقل استثارة للاشمئزاز من القمل .

فهنا يهدد موسى مصر تهديداً خطيراً بحرب الجراثيم التى حرمها اتفاق جنيف لبشاعتها ومنافاتها للإنسانية، حتى لقد عف عنها السفاحان الفاشيان هتلر وموسولينى .

« فماتت جميع مواشى المصريين وأما مواشى بنى إسرائيل فلم يمت منها واحد » .

خروج ٩ : ٦

ونفقت جميع الخيل والحمير والجمال والبقر والغنم فى مصر مع أن هذه الحيوانات لم يكن لها ذنب فى الاضطهاد الذى كان يسامه العبرانيون بل لقد كانت هى أيضاً تسام من السخرة أضعاف ما يسامون .

يرى المتمدنون الآن فى بث الأوبئة وقتل الماشية دليلا على شذوذ عقلى وانحراف ذهنى ، أما يهوه فقد وجد فيها الطريقة المثلى لإظهار عظمته .

« لكى تعرف أن ليس مثلى فى كل الأرض » .

خروج ٩- ١٥

ويبدو أن يهوه نسى أن المقصود بهذه الضربات هو تحرير شعبه المختار فانقلبت عنده الوسيلة غرضاً وأصبح التخريب مطلباً مقصوداً لذاته .

٦ — « فأخذا رماد الأتون ووقفا أمام فرعون وذراه موسى نحو السماء فصار دمامل بثور طالعة فى الناس وفى البهائم » .

خروج ٩ : ١٠

وهكذا قدر على تلك البهائم أن تصاب بالبثور بعد أن نفقت جميعاً فى الوباء الذى ابتلاها به موسى فى الضربة الخامسة .

٧ — ضربة البرد

« فكان برد ونار متواصلة فى وسط البرد. شىء عظيم جداً لم يكن مثله فى كل أرض مصر منذ صارت أمة فضرب البرد فى كل أرض مصر جميع ما فى الحقل من الناس والبهائم . ضرب البرد جميع عشب الحقل وكسر جميع شجر الحقل . إلا أرض جاسان حيث كان بنو إسرائيل فلم يكن فيها برد » .

خروج ٩ : ٢٤ - ٢٦

ياللبهائم المسكينة . إنها تقتل هنا مرة أخرى إرواء لحقد يهوه وشفاء لسخيمته . لقد أهلك الزرع والضرع جميعاً فى هذه الضربة ولم يبق لغذاء الأهلين منهما شيئاً . وماذا عسى أن تكون قد أكلت تلك الحيوانات التى سلمت من المذبحة لتهلك فى ضربة تالية .

٨ — ضربة الجراد

« فصعد الجراد على كل أرض مصر . وحل فى جميع تخوم مصر. شىء ثقيل جداً لم يكن قبله جراد هكذا مثله ولا يكون بعده كذلك . وغطى وجه كل الأرض حتى أظلمت الأرض . وأكل جميع عشب الأرض وجميع ثمر الشجر الذى تركه البرد حتى لم يبق شىء أخضر فى الشجر ولا فى عشب الحقل فى كل أرض مصر »

خروج ١٠ : ١٤ - ١٥

وهل أبقى البرد فى الحقول شيئاً أخضر للجراد بعدما ضرب جميع العشب وكسر جميع شجر الحقل ؟

٩ — ضربة الاظلام

« ثم قال الرب لموسى ، مد يدك نحو السماء ليكون ظلام على أرض مصر حتى يلمس الظلام . فمد موسى يده نحو السماء فكان ظلام دامس فى كل أرض مصر ثلاثة أيام لم يبصر أحد أخاه ولاقام أحد من مكانه ثلاثة أيام . ولكن جميع بنى إسرائيل كان لهم نور فى مساكنهم»(١)

خروج ١٠ : ٢١ - ٢٣

لقد كان يهوه دائماً عدوا للنور، ومن ثم لم يهجس بخاطره أن يدع المصريين بصيصا منه يسيرون على هدية ولو إلى الخلاء لقضاء الحاجة .

وقد كان فى مستطاع موسى أن ينتهز حلول هذا الظلام الحندس(٢) فينصرف ببنى إسرائيل إلى حيث شاء ، ولكنه لو فعل ذلك لفوت على إلهه الغشوم فرصة توجيه الضربة العاشرة إلى أجدادنا المصريين ، وهى تمتاز من الضربات السابقة بأنها مأساة حقيقية لا هزل فيها .

١٠ — مجزرة الأبكار

« فدعا موسى جميع شيوخ إسرائيل وقال لهم . اسحبوا وخذوا لكم غنما بحسب عشائركم واذبحوا الفصح وخذوا باقة زوفا واغمسوها

(١) قيل إنه بدا لراهب من رهبان القرون الوسطى أن يتخذ من هذه القصة وسيلة للتأثير فى السذج فكان يعرض عليهم قارورة ملأى بمسحوق أسود ويقول لهم إن ما فى القارورة هو بقية من ذلك الظلام المجسم الذى عم أرجاء مصر فى أيام موسى .

(٢) الحندس : الليل الشديد الظلمة ، ومنه الحديث «وفى ليلة ظلماء حندس ...» و ـ الظلمة ، ومنه الحديث «وقام الليل فى حندسه» . ويقال أسود حندس: شديد السواد كأسود حالك .

فى الدم الذى فى الطست ومسوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذى فى الطست . وأنتم لا يخرج أحد من باب خيمته حتى الصباح . فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبر الرب عن الباب ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب » .

خروج ١٢ : ٢١ - ٢٣

ولم كان ذلك العنت ؟ ألم يكن فى استطاعة يهوه أن يميز بين بيوت اليهود وبيوت المصريين دون علامة كما فعل فى ضرباته السابقة ؟ ولم كان من المحتوم أن تكون تلك العلامة دموية ؟ وكيف تسنى لموسى أن يبلغ اليهود ـ وهم قرابة ثلاثة ملايين ـ هذه الأوامر الخطيرة التى يفضى الخطأ فيها إلى إبادة أبكار اليهود أنفسهم ؟

إن دم الشياه إنما هو قربان ليهوه وبديل من الأضحيات البشرية التى كان تقريبها للآلهة شائعاً بين البدائيين فى غابر الزمان .

ولا يزال اليهود إلى اليوم يحتفلون لذكرى تلك المذبحة امتثالا لأمر يهوه .

« ويكون لكم هذا اليوم تذكارا فتعيدونه عيدا للرب . فى أجيالكم تعيدونه فريضة أبدية» .

خروج ١٢ : ١٤

ألا ما أشنع أن يتخذ الناس أيام المذابح أعيادا قومية .

والآن ، فلندع التوراة تدلى الينا بتفصيل الجناية الفظيعة التى جناها الإسرائيليون على المصريين .

« فحدث فى نصف الليل أن الرب ضرب كل بكر فى أرض مصر

من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الأسير الذى فى السجن، وكل بكر بهيمة . فقام فرعون ليلا هو وكل عبيده وجميع المصريين . وكان صراخ عظيم فى مصر لأنه لم يكن بيت ليس فيه ميت » .

خروج ١٢ : ٢٩ - ٣٠

يا له من مشهد فاجع اغتبط له بنو إسرائيل فأنشدوه أغنية يترنمون بها .

« أحمدوا رب الأرباب لأن إلى الأبد رحمته ... الذى ضرب مصر مع أبكارها(١) لأن إلى الأبد رحمته » .

مزمور ١٣٦ : ٣ - ١٠

ما الذى جناه أبناء الشعب المصرى حتى يبتلوا بهذه المحن التى ليس لها منتهى ثم تذبح أبكارهم جميعاً فى تلك الليلة الشؤمى؟ بم أساء «الأسير

---

(١) ولا غرو أن يقتل يهوه أبكار الشعب المصرى الذى يكن هو له الحقد والحسد وهو الذى لم يعف عن أبكار شعبه المختار ، فأوجب على كل أب نذر ابنه له فى ساعة طيش أن يلقيه دونما رحمة فى الأتون المشتعل الذى لا يفتأ يصيح هل من مزيد .

« كل محرم يحرم من الناس لايفدى . يقتل قتلا » .

لاويون ٢٧ : ٢٩

لقد روى الأرض بدماء الأبكار قرونا طويلة ثم جاء آخر الأمر يعترف بأنه قد فعل ذلك سخرية بشعبه المختار وأنه لم يكن جادا فيما فرضه عليهم .

« وأعطيتهم أيضا فرائض غير صالحة وأحكاما لايحيون بها : ونجستهم بعطاياهم إذ أجازوا فى النار كل فاتح رحم لأبيدهم حتى يعلموا أنى أنا الرب » .

حزقيال ٢٠ : ٢٥

هو دائما السبب نفسه : ليعلموا أنه هو الرب .

الذى فى السجن » إلى يهوه ؟ بل ما ذنب فرعون نفسه ويهوه هو الذى أودع قلبه الغلظة والقساوة ؟

وهذه البهائم المسكينة بأى ذنب قتلت ؟ إن كاتب القصة رجل سادى(١) يلتذ تعذيبها وقتلها فى كل ضربة . لقد أماتها فى الضربة الخامسة ثم أثخن فيها قتلا بالبرد فى الضربة السابعة ، ثم اصطلم الأبكار منها فى الضربة العاشرة ، وها هو ذا قد ادخر لها ضربة أخرى .

فقد أطلق فرعون وشعب إسرائيل ولكن يهوه لم يطلق فرعون، ذلك أن الضربات العشر لم ترو ظمأه إلى الدماء وما يزال فى وسعه أن يصك الشعب المصرى قبل أن يعبر تخومه ويفارقه إلى غير رجعة ، بضربة حادية عشرة ، ولهذا وسوس إلى فرعون أن يتعقب موسى وأوحى إلى موسى أن يتلكأ فى فراره حتى يوشك فرعون أن يدركه .

« وكلم الرب موسى قائلا : كلم بنى إسرائيل أن يرجعوا وينزلوا أمام فم الحيروث بين مجدل والبحر أمام بعل صفون . مقابله تنزلون عند البحر . فيقول فرعون عن بنى إسرائيل هم مرتبكون فى الأرض قد استغلق عليهم القفر وأشدد قلب فرعون حتى يسعى وراءهم فأتمجد بفرعون وبجميع جيشه»(٢) .

خروج ١٤ : ١ - ٤

---

(١) نسب إلى الماركيز الفرنسى ده ساد أنه كان يلتذ تعذيب عشيقاته، ويستهويه أن يقتل الحيوان ليستمتع بمشاهدته وهو يعانى آلام النزع .

(٢) وهذا يناقض ماذكره هذا السفر قبل ذلك من أن يهوه مال ببنى إسرائيل نحو الجنوب ولم يزحف بهم قدما صوب كنعان حتى لا يصطدموا هناك بجحافل الفلسطينيين فيرتدوا إلى مصر مهطعين .

=

وقد غلظ قلب فرعون حقاً امتثالا لمشيئة يهوه .

« فشد مركبته وأخذ قومه معه . وأخذ ست مئة مركبة منتخبة وسائر مركبات مصر وجنودا مركبية على جميعها . وشدد الرب قلب فرعون ملك مصر حتى سعى وراء بنى إسرائيل »

خروج ١٤ : ٦ - ٨

وأنى لفرعون الخيل وقد نفق جميع ما كان فى مصر منها ؟

ورأى مقاتلة اليهود وعددهم ٦٠٠,٠٠٠ شاكو السلاح جيش فرعون وقد نهكته الضربات العشر ففزعوا وجزعوا وأخذوا يولولون ويصوتون، ورأوا أن يهوه قد اشتط فى تقسية قلب فرعون وخالجهم الشك فى أنهم سيفلحون فى الخروج من مصر وكذلك فى أن هذا الخروج سيجدى عليهم فقالوا لموسى .

« كف عنا فنخدم المصريين . لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت فى البرية(١) » .

خروج ١٤ : ١٢

= « لأن الله قال لئلا يندم الشعب إذا رأوا حربا ويرجعوا إلى مصر فأدار الله الشعب فى طريق برية بحر سوف . . . وكان الرب يسير أمامهم نهارا فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق وليلا فى عمود نار ليضىء لهم. لكى يمشوا نهارا وليلا»

خروج ١٣ : ١٧ـ٢١

(١) وهذا يخالف ماذكرته القصة قبل ذلك من أن بنى إسرائيل ظعنوا عن مصر مرفوعى الرءوس شامخى الأنوف .

« وبنو إسرائيل خارجون بيد رفيعة » .

خروج ١٤ : ٨ .

فأخذ موسى يهدىء من روعهم ويسرى عن قلوبهم وجعل يطمئنهم مؤكدا لهم أن .

« الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون(١) »

خروج ١٤ : ١٤

وأدار موسى عصاه فى الهواء فانشق الماء(٢) وهبط إسرائيل فى منحدر عميق .

« فدخل بنو إسرائيل فى وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم »

خروج ١٤ : ٢٢ - ٢٣

ولم يبد المصريون شيئاً من الدهش وهم يسيرون على قعر البحر بين

---

(١) فى القرآن أن قوم موسى هم الذين اقترحوا عليه هذا المقترح .

« قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون » .

المائدة ٢٤

(٢) وفى رواية أن انشقاق الماء كان لهبوب الريح .

« فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء » .

خروج ١٤ : ٢١

وثم قصص مماثلة .

فقد عبر الماء على هذا النحو الأسكندر وجيشه ، وباخوس وجيشه ، وإيزيس ، وكرشنا .

وكذلك عبر يشوع بن نون نهر الأردن مقابل أريحا، وعبره إليشع بعد أن ضرب ماءه برداء إيليا .

ومشى يسوع فوق صفحة الماء .

جدارين شاهقين من الماء ، ولم يسترع الأمر انتباههم[1] فتبعوا المصريين .

وحارب يهوه بنفسه واضطلع بالجانب الميكانيكى من الحملة .

« وكان فى هزيع الصبح أن أشرف على عسكر المصريين فى عمود النار والسحاب وأزعج عسكر المصريين وخلع بكر مركباتهم حتى ساقوها بثقله . فقال المصريون نهرب من إسرائيل لأن الرب يقاتل المصريين عنهم » .

خروج ١٤ : ٢٤ - ٢٥

وأطبق البحر على الفرسان المصريين فغرقوا عن بكرة أبيهم وملك السرور على الإسرائيليين أنفسهم .

«حينئذ رنم موسى[2] وبنو إسرائيل هذه التسبيحة للرب وقالوا . أرنم للرب فإنه قد تعظم . الفرس وراكبه طرحهما فى البحر . . .

---

(١) فليس فى قصص الكتاب المقدس أحد يدهش لشىء .
فحواء لم تدهش حين كلمتها الحية فى جنة عدن باللغة العبرية الفصحى .
وبلعام لم يدهش حين كلمته الأتان باللهجة الموآبية الفصحى .
وجنود يشوع لم يدهشوا عندما سقط سور أريحا استجابة لنفخ الكهنة فى السور .

(٢) وفى رواية أخرى أن التى استخفها الطرب فترنمت بهذه الأنشودة إنما هى مريم ابنة عمرام (عمران) أخت هرون وموسى .
« فأخذت مريم النبية أخت هرون الدف بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص . وإجابتهم مريم . رنموا للرب فإنه قد تعظم . الفرس وراكبه طرحهما فى البحر » .
خروج ١٥ : ٢٠ ـ ٢١

الرب رجل الحرب . الرب اسمه . . . بريح أنفك تراكمت المياه . نفخت بريحك فغطاهم البحر . غاصوا كالرصاص . . . من مثلك بين الآلهة يارب » .

خروج ١٥ : ١ - ٩

وهذا النشيد — فى أغلب الظن — لم يوضع إلا بعد عبور البحر (أو البر)[1] بزمن مديد ، إذ هو يتحدث عن فتح كنعان على أنه شىء قد وقع حقا .

« ترشد برأفتك الشعب الذى فديته . تهديه بقوتك إلى مسكن قدسك . يسمع الشعوب فيرتعدون . تأخذ الرعدة سكان فلسطين . حينئذ يندهش أمراء أدوم . أقوياء موآب تأخذهم الرجفة . يذوب جميع سكان كنعان »

خروج ١٥ : ١٣ - ١٥

هذا ، ويلاحظ أن هاتين الحادثتين ذواتى الطابع الرومانسى اللتين أريد بهما إظهار مدى حب يهوه لشعبه المختار ، الاوهما عبور اليهود للبحر وغرق المصريين فيه ، لم يقتصر أمرهما على أنه لم يرد لهما ذكر فيما دونه المصريون من متون تاريخية ، بل إنهما كذلك كانتا مجهولتين من الرعيل الأول من أنبياء بنى إسرائيل ، وذلك دليل أنهما لفقتا فى زمن تال .

---

(١) تناول أحدهم هذا الموضوع بالبحث فقال إن البحر الأحمر ينتابه مد وجزر شديدان فجائيان ، وقد يكون من المستطاع الخوض فيه شمال مدينة السويس ، وحدس أن خصائص هذا المكان هى التى كانت مرجع الإلهام لواضع القصة .

١٠

اليهودى التائه

وما أنفك اليهودى التائه(١) يضرب فى صحراء سيناء حتى قضى هو والملايين الثلاثة الذين فصلوا معه عن مصر وأسلموه مقادهم ، دون أن يرى منهم أرض الميعاد غير رجلين اثنين لا ثالث لهما . وقد كان جديراً بهم الا يضلوا الطريق وقد جعل يهوه من نفسه مرشداً لهم .

« وكان الرب يسير أمامهم نهاراً فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق وليلا فى عمود نار ليضيء لهم لكى يمشوا نهارا وليلا . لم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلا من أمام الشعب » .

خروج ١٣ : ٢٠ - ٢١

ويبدو من ذلك أنهم لم يكونوا يشعرون باللغب(٢) من المشى نهاراً والسرى ليلا وهم حاملين أثقالهم . ولنا أن نسائل أنفسنا : لم يضنيهم يهوه بهذا المشى النكير(٣) إلى غير غاية وقد حزم رأيه ألا يبلغهم

(١) جاء فى إحدى القصص الشعبية أن يهودياً ما هزأ بالرب يسوع وهو يسعى إلى حيث يصلب ، وأبى أن ينقع بالماء غلته ، فباء بلعنة منه قضت عليه أن يظل هائماً على وجهه فى الأرض إلى أن يؤوب إليها يسوع بعد آلاف السنين فيفرض عليها حكمه وسلطانه (وازن بين هذه الأسطورة وأسطورة المهدى المنتظر) .

(٢) لغب الرجل : تعب وأعيا أشد الإعياء .

(٣) نكر الأمر : صعب واشتد . أمر نكير : شديد صعب .

أملهم فى دخول الأرض التى تفيض لبنا وعسلا ، وبيت نيته أن يميتهم فى ذلك المهمة القفر .

لقد كانوا نحو ٣ ملايين فإذا ساروا فى صفوف متراصة ينتظم كل منها ٢٠ امرءا ويشغل كل صف مترا واحداً بلغ طول القافلة ١٥٠ كيلو مترا ، وبما أنهم فصلوا جميعاً عن مصر فى ليلة واحدة أى خلال ٧ ساعات أو ثمانى ساعات فلا بد أنهم كانوا يسيرون دون توقف بسرعة ٢٠ كيلو مترا فى الساعة وإنها لسرعة تخرج عن طوق البشر .

ولنا أن نسائل أنفسنا كيف كان موسى يتحدث إليهم جميعا عند باب خيمة الاجتماع وهى لا يزيد عرضها على ٥ أمتار ولم يكن ثم مذياع؟

« وكلم الرب موسى قائلا . خذ هرون وبنيه معه والثياب ودهن المسحة وثور الخطية والكبشين وسل الفطير واجمع كل الجماعة إلى باب خيمة الاجتماع » .

لاويون ٨ : ١ — ٢

لاريب أنه كان يتمتع برئتين قويتين وصوت جهير يسمع على بعده عشرات الكيلومترات .

وكيف تسنى لهم أن يحملوا من الكساء ما يقوم بحاجتهم ٤٠ عاما؟ هل كانت الملائكة تعمل طوال تلك الأعوام فى رتق ما يتفتق من أهدامهم(١) وفى خصف(٢) ما ينقب(٣) من نعالهم .

(١) الهدم : الثوب البالى ، يقال عليه هدم وأهدام أى ثياب أخلاق .

(٢) خصف النعل : خرزها بالمخصف .

(٣) نقب الخف الملبوس : تخرق .

« ثيابك لم تبل عليك ورجلك لم تتورم هذه الأربعين سنة »

تثنية ٨ : ٤

تثنية ٢٩ : ٥

حسن ، ولكن ألم يكونوا يموصون(١) ثيابهم؟ ذلك أمر لامناص منه وبخاصة فيما يتصل بثياب الأطفال . وإذا سلمنا — جدلا — بأن ثيابهم لم تخلق واحتفظت بجدتها فكيف ظلت ثياب الأطفال الرضع صالحة لهم عندما أوغلوا فى أطوار العمر ونمت منهم تبعاً لذلك الجسوم ؟

وكيف كانت قطعان الماشية التى استصحبوها معهم تجد ما تأكله فى تلك الأرض الجرداء التى لا تنبت غير طبقة رقيقة من الكلأ إذا لم ترعه الصفوف الأمامية من الماشية وطئته وصيرته غير صالح لطعام الصفوف الخلفية منها ؟

وأين كانت هذه الماشية عندما كان اليهود النازحون لايجدون شيئاً يقتاتونه غير المن(٢) وهو طعام تعافه النفس ؟

لم لم يأكل المهاجرون ما جلبوه معهم من مواشى مصر واغنامها ؟ هل نفقت ؟ هل نفذت ؟ ليس يبدو الأمر كذلك ، فقد كتب عليهم إلههم أن يظلوا يرعون مواشيهم وأغنامهم حتى يدخل أولادهم أرض الميعاد .

(١) ماص الثوب : غسل غسلا لينا رقيقا .

(٢) وقد أسمى المن فى المزمور الثامن والسبعين بخبز الملائكة مما يفهم منه أنه يؤكل فى الفردوس .

« فجثثكم أنتم تسقط فى هذا القفر وبنوكم يكونون رعاة فى القفر أربعين سنة »

عدد ١٤ : ٣٢ — ٣٣

لقد أجم(١) القوم ذلك المن ذا الخواص العجيبة ، وقد كان .

« إذا حميت الشمس يذوب »

خروج ١٦ : ٢

ولكنه لم يكن يذوب وهم يسلقونه ويعجنونه ويخبزونه، وكان الإسرائيلى منهم مهما أكثر من جمعه أو قلل منه يجد أنه جمع ما يملأ المكيال المعروف عندهم بالعمر ملئا تاما لازيادة فيه ولانقصان ، وذلك باستثناء أيام الجمع فقد كان يسقط بين أيديهم منه ما يكفيهم يومين ولا يسقط منه فى أيام السبوت شىء، وكانوا إذا أفضلوا إلى اليوم التالى شيئاً مما جمعوه أنتن(٢) ودود(٣) .

(١) أجم الطعام وغيره : كرهه من المداومة عليه .

(٢) ويبدو أن هذه القاعدة قد نقضت مرة عندما تسلم يشوع مقاليد الأمور بعد موت موسى ، وقال للقوم :

« هيئوا لأنفسكم زادا لانكم بعد ثلثة أيام تعبرون الأردن هذا لكى تدخلوا فتملكوا الأرض » .

يشوع ١ : ١١

(٣) المفروض أن الدود الذى يتحدثون عنه ليس دودا حقيقيا بل هو يرقان الذباب وما اليه من حشرات .

وقد أمر موسى بصون مقدار من هذا الغذاء العجيب يدخر للأخلاف من ذرارى بنى إسرائيل .

« واجعل فيه ملء العمر منا وضعه أمام الرب للحفظ فى أجيالكم » .

ولكنه فيما يبدو — ذاب فلم يوفق المنقبون فى الاهتداء اليه .

وقد لبثوا طوال تجوالهم فى سيناء يأكلون هذا الطعام المسيخ(١) الذى لا تتوافر فيه حاجتهم من العناصر الغذائية الضروزية للجسم ولم يتخلصوا منه إلا بعد أن عبروا نهر الأردن فأصبحوا عبريين موطنين بأرض الميعاد .

لقد دخلوا تلك البلاد بعد حرب عوان(٢) استأصلوا فيها شأفة أهلها وأبادوا حيوانها وأحرقوا دورها وأخربوا ربوعها ، ولكنهم ما إن وضعت الحرب أوزارها حتى ألفوا الموائد حافلة بطعام شهى غذى يقوم بثلاثة ملايين من الغزاة .

« وانقطع المن فى الغد عند أكلهم من غلة الأرض » .

(١) المسيخ : الطعام الذى لاماح فيه و ـ ما لا طعم له . والعامة تقول ماسخ .
(٢) الحرب العوان : التى قوتل فيها مرة بعد أخرى كأنهم جعلوا الأولى بكرا .

١١

الرقم ٧

تكرر استعمال الكتاب المقدس الرقم «٧» مفرداً أو مركباً (١٧) أو معقودا (٧٠) أو معطوفا (٥٧) أو مئويا (٧٠٠) أو مؤلفا (٧٠٠٠ و ٧٠٠٠٠) زهاء ٥٠٠ مرة .

فهو يقول فى قصة الخلق .

« وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل . فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل . وبارك الله اليوم السابع وقدسه » .

تكوين ٢ : ٢-٣

ويقرر فى كتاب مواليد آدم أن لامك والد نوح عمر ٧٧٧ سنة

ويقول فى قصة الطوفان .

« من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكراً وأنثى ... لأنى بعد سبعة أيام أمطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة » .

تكوين ٧ : ٢ - ٤

« فلبث أيضاً سبعه أيام أخر وعاد فأرسل الحمامة من الفلك . فأتت إليه الحمامة عند المساء وإذا ورقة زيتون خضراء فى فمها . فعلم نوح أن المياه قد قلت عن الأرض فلبث أيضاً سبعة أيام أخر وأرسل الحمامة فلم تعد ترجع إليه أيضاً » .

تكوين ٨ : ١٠ - ١٢

وفى قصة هجرة أبرام .

« وأقام إبراهيم سبع نعاج من الغنم وحدها. فقال أبيما لك لإبراهيم ماهى هذه السبع النعاج التى أقمتها وحدها . فقال إنك سبع نعاج تأخذ من يدى لكى تكون لى شهادة بأنى حفرت هذه البئر . لذلك دعا ذلك الموضع بئر سبع. لأنهما هناك حلفا كلاهما . فقطعا ميثاقا فى بئر سبع»

تكوين ٢١ : ٢٨ - ٣٢

وفى قصة يعقوب

« أحب يعقوب راحيل فقال أخدمك سبع سنين براحيل ابنتك الصغرى . . . فخدم يعقوت براحيل سبع سنين » .

تكوين ٢٩ : ١٨ - ٢٠

وخدع الرجل ابن أخته يعقوب فجعله يعرس بابنته الكبرى الكليلة الطرف ليئة وهو يحسبها الأبنة الصغرى راحيل التى شغفته حبا فتجشم من أجلها عناء العمل طوال تلك السنين ، ويبدو أنه هو أيضاً كان كليل الطرف يشكو العشاوة فلم يستبن الخدعة إلا ضحى الغد ، وعندئذ حل حموه المشكلة فى سهولة ويسر قائلا له :

« أكمل أسبوع هذه فنعطيك تلك أيضا بالخدمة التى تخدمنى أيضا سبع سنين أخر » .

تكوين ٢٩ : ٢٧

فدخل يعقوب على راحيل بعد أسبوع وغشيها ثم هرب بها، فتعقبه لابان .

« وسعى وراءه مسيرة سبعة أيام .

تكوين ٣١ : ٢٣

واستدعى يوسف أباه يعقوب (إسرائيل) وإخوته (بنى إسرائيل) إلى مصر ليوطنوا بها ، فكانت :

« جميع نفوس بيت يعقوب التى جاءت إلى مصر سبعون »

تكوين ٤٦ : ٢٧

ثم مات يعقوب وله من العمر ١٤٧ عاما و

« بكى عليه المصريون سبعين يوما »

تكوين ٥٠ : ٣

وكان تأويل يوسف للحلمين اللذين رآهما فرعون هو :

« البقرات السبع الحسنة هى سبع سنين والسنابل السبع الحسنة هى سبع سنين هو حلم واحد . والبقرات السبع الرقيقة القبيحة التى طلعت وراءها هى سبع سنين . والسنابل السبع الفارغة الملفوحة بالريح الشرقية تكون سبع سنين جوعا . . . هوذا سبع سنين قادمة شبعا عظيما فى كل أرض مصر . ثم تقوم بعدها سبع سنين جوعا »

تكوين ٤١ : ٢٦ — ٣٠

وفى قصة موسى نرى أنه هاجر إلى مدين فتزوج إحدى بنات الكاهن .

« وكان لكاهن مديان سبع بنات »

خروج ٢ : ١٦

وأنه فرض على بنى إسرائيل أن يصوموا سبعة أيام عن الخبز الذى استعملت الخميرة فى صنعه .

« سبعة أيام تأكلون فطيرا. اليوم الأول تعزلون الخمير من بيوتكم .

فإن كل من أكل خميرا من اليوم الأول إلى اليوم السابع تقطع تلك النفس من إسرائيل ... سبعة أيام لا يوجد خمير فى بيوتكم ... »

خروج ١٢ : ١٥ — ١٩

ثم صعد موسى وهرون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل . ورأوا إله إسرائيل »

خروج ٢٤ : ٩ — ١٠

وعندما تظهر أعراض البرص على امرىء ويشتبه الكاهن فى أن المرض الذى بين يديه هو برص حقيق وليس مجرد بهق .

« يحجز الكاهن المضروب سبعة أيام . فإن رآه الكاهن فى اليوم السابع وإذا فى عينية الضربة قد وقفت ولم تمتد الضربة فى الجلد يحجزه الكاهن سبعة أيام ثانية فإن رآه الكاهن فى اليوم السابع ثانية وإذا الضربة كامدة ولم تمتد الضربة فى الجلد يحكم الكاهن بطهارته »

لاويون ١٣ : ١٤ — ٦

وعندما يلمس المرء قتيلا يصبح نجسا ويحق عليه التطهر .

« من مس ميتا ميتة إنسان ما يكون نجسا سبعه أيام . يتطهر به فى اليوم الثالث وفى اليوم السابع يكون طاهراً . وإن لم يتطهر فى اليوم الثالث ففى اليوم السابع لا يكون طاهراً .... وكل من كان فى الخيمة يكون نجسا سبعة أيام... وكل من مس على وجه الصحراء قتيلا بالسيف أو ميتا أو عظم إنسان أو قبرا يكون نجسا سبعة أيام... ينضح الكاهن على النجس فى اليوم الثالث واليوم السابع ويطهره فى اليوم السابع » .

عدد ١٩ : ١١ — ١٩

وفى قصة الملك إكزرسيس وحظيته إستير .

« عمل الملك لجميع الشعب ... وليمة سبعة أيام ... فى اليوم السابع قال له ... الخصيان السبعة ... أن يأتوا بوشتى الملكة ... وكان المقربون اليه سبعة رؤساء فارس ومادى »

استير ١ : ٥ — ١٤

وفى قصة بلعام بن بعور نبى المؤابيين الوثنيين وهو الشهير بلقمان الحكيم (بلع = لقم) قال بلعام لمليكه بالاق بن صفور .

« ... ابن لى ههنا سبعة مذابح وهيىء لى ههنا سبعة ثيران وسبعة كباش » .

عدد ٢٣ : ١

عدد ٢٣ : ٩

وعندما عبر يشوع بن نون نهر الأردن إلى أرض الميعاد فتح مدينة أريحا بأن هدم سورها الحصين بطريقة فذة تفاعلت فيها القوى السحرية للرقم ٧ .

« وسبعة كهنة يحملون أبواق الهتاف السبعة أمام التابوت . وفى اليوم السابع تدورون دائرة المدينة سبع مرات والكهنة يضربون بالأبواق ... وليحمل سبعة كهنة سبعة أبواق هتاف أمام تابوت الرب ...

والسبعة الكهنة الحاملون أبواق الهتاف السبعة ... وكان فى اليوم السابع أنهم بكروا عند طلوع الفجر وداروا دائرة المدينة على هذا المنوال سبع مرات . فى ذلك اليوم فقط داروا دائرة المدينة سبع مرات . وكان فى المرة السابعة عندما ضرب الكهنة بالأبواق أن يشوع

قال اهتفوا . . . وكان حين سمع الشعب صوت البوق أن الشعب هتف هتافا عظيما فسقط السور فى مكانه وصعد الشعب إلى المدينة . . . وحرموا كل مافى المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف » .

يشوع ٦ : ٤ - ٢١

وفى قصة سليمان نجد أن بناء الهيكل استغرق ٧ سنوات ، وأنه زين التاج الذى على كل عمود من أعمدة الهيكل بسبع ضفائر ثم جمع رجال إسرائيل فى العيد وهو يقع فى الشهر السابع ، وكان سليمان مزواجا له ٧٠٠ من الزوجات الحرائر له من عداهن من السرارى .

وقام بنهود ملك آرام ومعه ٣٢ ملكا بمحاصرة السامرة عاصمة مملكة إسرائيل وأرسل إلى آخاب ملكها يطلب إليه الاستسلام ، فتقدم إليه أحد الأنبياء وقال له إن الله يأمره بالحرب ، فأمر الملك أن يعدوا غلمان رؤساء المقاطعات .

« وعد بعدهم كل الشعب كل بنى إسرائيل سبعة آلاف . . . فنزل هؤلاء مقابل أولئك سبعة أيام فى اليوم السابع اشتبكت الحرب » .

١ ملوك ٢٠ : ١٥ - ٢٩

« كان لآخاب سبعون ابنا فى السامرة » .

٢ ملوك ١٠ : ١

وفى قصة أيوب طلب الرب محرقة ٧ ثيران و ٧ كباش ، وكان لأيوب ٧ بنين و . . . ٧ر رأس من الماشية فشخص إليه لفيف من الناس وقعدوا معه على الأرض ٧ أيام و٧ ليال . ونضيف إلى ذلك الآيات :

تكوين ٨ : ٤
» ٢٣ : ١
» ٥٠ : ٣
خروج ١٦ : ٢٧ — ٣٠
» ٢٤ : ١٦
» ٢٩ : ٢٩ — ٣٠
» ٣١ : ١٥
» ٣٤ : ١٨
لاويون ٨ : ٣٣ — ٣٥
» ١٢ : ١ — ٥
» ١٣ : ٢٦ — ٢٧
» ١٣ : ٣١ — ٣٤
» ١٣ : ٤٧ — ٥٤
» ١٤ : ٧ — ٩
» ١٥ . ١٣ — ٢٨
» ١٦ : ١٤ — ١٩
» ٢٣ : ١٥ — ١٨
» ٢٣ : ٢٣
» ٢٣ : ٣٣
» ٢٣ : ٣٩ — ٤٢
» ٢٥ : ٤
» ٢٥ : ٨ — ٩

لاويون ٢٥ : ٢٠ — ٢١
» ٢٦ : ٢٣ — ٢٩
تثنيه ٧ : ١ — ٢
» ١٥ : ١٢
» ١٦ : ١ — ٩
إستير ٢ : ٩
» ٢ : ١٦
٣ ملوك ٤ : ٣٥
» ٥ : ١٤
» ٨ : ١ — ٣
» ١٢ : ١
» ١٨ : ٩
١ أخبار ١٨ : ٣ — ٤
» ١٩ ١٨
قضاه ١٤ : ١٢
» ١٤ : ١٧
» ١٦ : ٧ — ٨
» ١٦ : ١٣
» ١٦ : ١٩
١ صموئيل ٦ : ١
» ١٦ : ١٠
» ٣١ : ١٣
٢ صموئيل ٢ : ١١

٢ صموئيل ١٠ : ١٨
» ٢١ : ٩
» ٢٤ : ١٣ — ١٥
١ ملوك ٦ : ٣٨
» ٧ : ١٧
» ٨ : ٢
» ١١ : ٣
» ١٨ : ٤٣ — ٤٤
» ١٩ : ١٨
أيوب ٢ : ١٣
» ٤٢ : ٢
» ٤٢ : ٨

إن السفر الوحيد من أسفار العهد القديم الذى نفتقد فيه الرقم ٧ هو نشيد الأنشاد ، وهو السفر الوحيد الذى أجمع علماء الكتاب المقدس رأيهم على أنه ليس عملا عبرانياً .

ولا يخلو العهد الجديد من بعض التغالى فى استعمال هذا الرقم الهام ، فإنا نجد — مثلا — فى رؤيا يوحنا اللاهوتى :

« يوحنا إلى السبع الكنائس التى فى آسيا نعمة لكم وسلام من الكائن والذى كان والذى يأتى ومن السبعة الأرواح التى أمام عرشه ... ولما التفت رأيت سبع منابر من ذهب وفى وسط السبع المنابر شبه ابن الإنسان. ومعه فى يده اليمنى سبعة كواكب »

رؤيا ١ : ٤ — ٦

« ورأيت فإذا فى وسط العرش والحيوانات الأربعة وفى وسط الشيوخ خروف قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون وسبع أعين هى سبعة أرواح الله المرسلة إلى كل الأرض »

رؤيا ٥ : ٦

« ولما فتح الختم السابع حدث سكوت فى السماء نحو نصف ساعة. ورأيت السبعة الملائكة الذين يقفون أمام الله وقد أعطوا سبعة أبواق »

رؤيا ٨ : ١ — ٢

وكذلك

رؤيا ١٠ : ٣ — ٤
» ١٢ : ٣
» ١٣ : ١
» ١٥ : ١
» ١٥ : ٦ — ٨
» ١٦ : ١
» ١٧ : ١
» ١٧ : ٧

وهلم جرا

لقد فشا الرقم ٧ فى أساطير الأديان القديمة ، فمن ذلك :

١ — رؤساء الملائكة السبعة عند الكلدانيين والعبرانيين .

٢ — الأرواح العظيمة السبع التى يبتهل إليها الفرس .

٣ — الأرواح الشريرة السبع عند البابليين .

٤ — الآثام الكبيرة السبع عند المصريين .

٥ — القرابين المقدسة السبعة عند المسيحيين .

٦ — نضح الدم على المذابح المصرية سبع مرات .

٧ — البوابات السبع فى طيبة .

٨ — الأبواب السبعة فى كهف مثراس .

٩ — سبع أبواب جهنم(١) .

١٠ — السموات السبع والأرضون السبع(٢) .

١١ — الطبقات السبع فى برج بابل .

١٢ — المزمار ذو القصبات السبع فى يد « پان » إله الماشية عند اليونان .

١٣ — القيثارة ذات الأوتار السبعة المتفرعة من شجرة الحياة الأشورية .

١٤ — الأحجار السبعة المخصصة للكواكب السبعة فى لاكونيا .

١٥ — تقسيم الناس سبع مراتب فى كل من مصر والهند الخ الخ .

*

كان القدماء يعتقدون أن حظ الإنسان فى الحياة رهن بحركات الأجرام السماوية ، وكانوا يعرفون الشمس والقمر وخمسة من الكواكب السيارة ، وبأسماء هذه الأجرام السماوية السبع أسميت أيام

---

(١) « وإن جهنم لموعدهم أجمعين . لها سبعة أبواب لكل منهم جزء مقسوم » الحجر ٤٣ ـ ٤٤

(٢) « الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن » . الطلاق ١٢

الأسبوع فى مصر وبابل وغيرهما . ونجد شيئاً من ذلك فى بعض اللغات الأوربية ، فى الإنجليزية مثلا :

يوم السبت	Saturday	منسوب إلى زحل	Saturn
يوم الأحد	Sunday	« « الشمس	Sun
يوم الاثنين	mondoy	« « القمر	moon

وقد سبقت عبادة الناس للقمر عبادتهم للشمس ، وربما كان ذلك يرجع إلى أن الشىء المتغير يسترعى الأنظار أكثر من الشىء الثابت . ويتم القمر دورته فى ٢٨ يوما وكان الأقدمون يسمون هذه المدة شهراً، ولا يزال الأمر كذلك فى التوقيت العربى . ويسمى الشهر فى الإنجليزية month وهو لفظ مرخم عن moonth أى القمرى . ولدورة القمر صلة بالحيض الذى يعترى النساء وإناث الحيوان كل ٢٨ يوما . وبقسمة العدد ٢٨ على ٤ ينتج الرقم ٧ وهو عدد أيام الأسبوع . وقد شاركت هذه الأسباب فى إكساب هذا الرقم ماله من قدسية ، ومن ثم كثر ظهوره ، فى أوضاعه المذكورة آنفا، فى أديان شتى . وقد ورد ذكره فى القرآن فى ٢٧ موضعا نذكر منها قوله :

« يوسف أيها الصديق أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون » .

يوسف ٤٦

١٢
مكالمات الكليم

تقول التوراة للشعب الإسرائيلى إن فى أرض الميعاد .

« سبع شعوب أكثر وأعظم منك »

تثنية ٧ : ١

وهذا يعنى أن تلك الرقعة الضيقه من الأرض التى لا تزيد على ١٢,٠٠٠ ميل مربع كانت وطنا لما يربى على ٢١,٠٠٠,٠٠٠ من البشر رأى يهوه أن يقطع دابرهم أو — فى الأقل — يجليهم عن بلادهم بغير حق ليحل محلهم بنى إسرائيل، وما زال الإسرائيليون إلى الآن ينهجون هذا النهج فيفعلون هذه الأفاعيل بعرب فلسطين قطان البلاد الأصلاء .

وسلط يهوه على شعوب فلسطين سلاحا لم يكن لهم قبل به ألا وهو سلاح الزنابير .

« وأرسل أمامك الزنابير فنطرد الحويين والكنعانيين والحثيين من أمامك » .

خروج ٢٣ : ٢٨

إذا كان يهوه قد أطلق على كل من أعداء اليهود ٥٠ زنبورا فإنه يكون قد جند فى هذه الحرب الحشريه نحو مليار من الزنابير لديها المقدرة على التمييز بين المغزوين والغزاة .

وهم يفسرون — أو يسوقون فى الاعتذار من — طول المدة التى

اقتضاهم إياها تدويخ الكنعانيين ومن إليهم أن يهوه أضمر فى وليجة نفسه ألا يبيد من عدا اليهود دفعة واحدة حتى لا تتغاوى(١) الوحوش على بنى إسرائيل .

« لا أطردهم من أمامك فى سنة واحدة ، لئلا تصير الأرض خربة فتكثر عليك وحوش البرية . قليلا قليلا أطردهم من أمامك إلى أن تثمر وتملك الأرض . وأجعل تخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين ومن البرية إلى النهر » .

خروج ٢٣ : ٢٩ - ٣١

ياله من عذر ! أفكان يعسر على يهوه أن يرسل زنابيره على الوحوش أيضاً فتذيقها من بأسها مثل ما أذاقت سكان البلاد الأصلاء .

وطال الأمر باليهود الظاعنين من وادى النيل وهم يضربون على غير هدى فى تلك الفيافى دون أن ينجز لهم يهوه ما وعدهم إياه من إقطاعهم أراضى تفيض لبنا وعسلا ، فلما استنجزوا كليم الله مامناهم به ألهم برم بهم يهوه وضجر من لجاجتهم وأوشك أن يتبرهم(٢) لولا أن أسرع إليه موسى يخوفه ما عسى أن يتقول به المصريون عليه وهم المعروفون بحدة ألسنتهم .

« لماذا يتكلم المصريون قائلين أخرجهم بخبث ليقتلهم فى الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض » خروج ٣٢ : ١٢

(١) تغاوى القوم : تجمعوا وتعاونوا على الشر و— عليه : تجمعوا وتعاونوا عليه فقتلوه أو لم يقتلوه .

(٢) تبره : أهلكه ودمره .

ولم يزل به حتى عدل جل جلاله عما كان قد عقد العزم عليه .

« فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه »

خروج ٣٢ : ١٤

بيد أنه ما عتم أن عاد فقلب لشعبه ظهر المجن(١) وجبهم بأنهم قاضون نحبهم دون أن تطأ أقدامهم أرض الميعاد .

« لن تدخلوا الأرض التى رفعت يدى(٢) لأسكننكم فيها . . . فجثثكم أنتم تسقط فى هذا القفر وبنوكم يكونون رعاة فى القفر أربعين سنة ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم فى القفر . . . أنا الرب قد تكلمت لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة على . فى هذا القفر يفنون وفيه يموتون » .

عدد ١٤ : ٣٠ - ٣٥

وبهذه اللعنة اليهودية فقد المعذبون فى الأرض أملهم بالفكاك من ذلك العذاب المقيم . لقد طالما نعموا فى مصر بأرقى التقدم الحضارى وأقصى التسامح الدينى والعنصرى ، فلما أبطرتهم النعمة انخرطوا من النعيم فى الجحيم ، جعلوا يجولون ويجولون ولا يهتدون ، وإذاهم يقرصهم كلب الجوع والظمأ ويؤرقهم الرعب والفزع وتنغصهم خيبة الأمل ، لقد عاشوا فى تلك الغربة طعاما للخوف ونهبا للوسواس ، ثم مازالوا يتفانون فريسة للمجاعة والطاعون وللوحوش والحيات ، حتى أسدلت الستارة آخر الأمر على مشهد بشع ترى فيه ٣ر٠٠٠ر٠٠٠ جثه مبعثرة

(١) المجن : الترس .

(٣) يقصد : التى أقسمت.

فى الفـــلاة تعتب على يهوه أنه غرر بذويها ولم يصدقهم ما عاهدهم عليه ولم يذقهم اللبن والعسل بل أذاقهم عذاب الهون . وهكذا أبادت السنون العجاف ذلك القرن(١) من الناس الذين كانوا قد فقهوا ، فى أثناء مقامهم بمصر وعقب خروجهم منها ، كثيراً من الأشياء تنير طريقهم وتكشف لهم عما يراد بهم وما يساقون إليه . لقد ألفوا فى مصر المعاملة الإنسانية الكريمة فلما أسيئت معاملتهم فى الصحراء رفعوا عقائرهم يجأرون بالشكوى ويتذمرون من الفساد ، فنكل بهم الطغاة وتخرمهم الموت . وخلف من بعدهم خلف مستضعف ذليل أضنته المسغبة وأطبق عليه الجهل وأخذت بناصيته الخرافات فهو لا يعى ولا يفقه شيئاً ويمتثل مستكينا صاغرا لما يرسمه له الكهنة من أوامر ويوفيهم مايطلبون إليه توفيته من فرائض .

*

كان موسى فى أثناء تلك السنين الطويلة العصيبة يصعد فى الجبل بين الحين والحين ليبقى يهوه ويقاوله(٢) .وقد عهدنا أمثاله ممن يلقون أربابهم ويتحدثون إليهم يؤثرون الجبال مقرا لاجتماعهم ، وعلى سفوح تلك الجبال كانوا يتلقون الشرائع السماوية .

وكان الشخصان الساميان يسترسلان فى الحديث بغير تكلف

« ويكلم الرب موسى وجها لوجه(٣) كما يكلم الرجل صاحبه »

خروج ٢٣ : ١١

---

(١) القرن : كل أمة هلكت فلم يبق منها أحد و ــ أهل زمان واحد .

(٢) قاوله فى أمره : فاوضه وجادله فيه .

(٣) وهذا يخالف ما قيل من أن :

=

ومافتىء موسى يصعد فى الجبل خاوى الوفضة ثم يهبط منه وقد حملاً وفضته(١) بجملة من الأوامر والنواهى يزعم(٢) أنها أس التشريع وينبوع الحكمة ومنبت الفضيلة ، ويقول المتدينون بدينه إنه لولا هذا لظل الناس على مافطروا عليه أقرب إلى بهيمة الأنعام .

وإليكم قبسا من تلك الآيات اللدنية التى كانت تتناثل(٣) إليه فوق الجبل .

= « الله لم يره أحد قط . الأبن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبر » .

يوحنا ١ : ١٨

ونذكر أن الرب ظهر قبل لإبراهيم

« وظهر الرب لأبرام وقال لنسلك أعطى هذه الأرض فبنى هناك مذبحاً للرب الذى ظهر له » .

تكوين ١٢ : ٧

ثم ثنى بالظهور لإسحق .

« وظهر له الرب وقال لا تنزل إلى مصر » .

تكوين ٢٦ : ٢

ثم ظهر ليعقوب واشتبك معه فى مصارعة حرة

« فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلا لأنى نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسى » .

تكوين ٣٢ : ٣٠

(١) الوفضة : خريطة يحمل فيها الراعى اداته وزاده ، وهى اصغر من الجعبة .

(٢) وهوزعم جزاف لايأوى إلى سند شديد،فإن القوانين تسن منذ أقدم الأزمنة للدفاع عن الأنفس ووقايتها الأذى ، إذ ليس من الميسور أن يعيش الناس معا بلا قواعد خلقية يتواضعون عليها لتنظيم حياتهم . وقد كانت مصر ، قبل موسى بزمن مديد ، تعاقب على القتل والزنا وتفصل مايتصل بالتقصير فى الوفاء بالدين وبالإخلال بالعقود وبافتكاك الرهائن وما إلى ذلك .

ومن المسلم به أن القوانين المصرية القديمة تفضل القوانين الموسوية من وجوه .

(٣) تناثلوا إليه : انصبوا .

« لاتصعد بدرج إلى مذبحى كيلا تنكشف عورتك عليه »

خروج ٢٠ : ٢٦

« لا تطبخ جديا بلبن أمه »

خروج ٢٤ : ٣٦

« لا تقصروا رؤوسكم مستديرا »

لاويون ١٩ : ٢٦

« كلم بنى إسرائيل وقل لهم أن يصنعوا لهم أهدابا فى أذيال ثيابهم فى أجيالهم ويجعلوا على هدب الذيل عصابة من أسما نجونى[١] »

عدد ١٥ : ٣٨

« لاتزرع حقلك صنفين ... لاتحرث على ثور وحمار معا . لاتلبس ثوبا مختلطا صوفا وكتانا معا . أعمل لنفسك جدائل على أربعة أطراف ثوبك الذى تتغطى به »

تثنية ٢٢ : ٩ — ١٢

« إذا تخاصم رجلان بعضهما بعضا رجل وأخوه وتقدمت امرأة أحدهما لكى تخلص رجلها من يد ضاربه ومدت يدها وأمسكت بعورته فاقطع يدها ولا تشفق عينك »

تثنية ٢٥ : ١١ — ١٢

وإذا أراد مجذوم أن يتطهر من دائه فعليه أن يجزل العطاء للكاهن، ومن المعلوم أن جميع كهنة بنى إسرائيل فى مختلف الاوقات هم من حفدة هرون شقيق موسى .

---

(١) أى زرقاء اللون ، والزرقة هى اللون الرسمى الأثير عند اليهود .

« فيأخذ الكاهن كبش الإثم ولج الزيت ويرددهما الكاهن ترديدا أمام الرب . ثم يذبح كبش الإثم ويأخذ الكاهن من دم ذبيحة الإثم ويجعل على شحمة أذن المتطهر وعلى إبهام يده اليمنى وعلى إبهام رجله اليمنى ويصب الكاهن من الزيت فى كف الكاهن اليسرى وينضح الكاهن بإصبعه اليمنى من الزيت الذى فى كفه اليسرى سبع مرات أمام الرب . ويجعل الكاهن من الزيت الذى فى كفه على شحمة أذن المتطهر اليمنى وعلى إبهام يده اليمنى وعلى إبهام رجله اليمنى وعلى موضع دم ذبيحة الإثم . والفاضل من الزيت الذى فى كف الكاهن يجعله على رأس المتطهر تكفيرا عنه أمام الرب . ثم يعمل واحدة من اليمامتين أو من فرخى الحمام مما تنال يده ما تنال يده. الواحد ذبيحة خطية والآخر محرقة مع التقدمة . ويكفر الكاهن عن المتطهر أمام الرب . هذه شريعة الذى فيه ضربة برص الذى لاتنال يده فى تطهيره » .

لاويون ١٤ : ٢٤ — ٣٢

تذكرنا هذه الحركات بما تفعل « الكدية » بعروس « الزار » عندما يذبح الكبش قربانا للجان ، ونستطيع أن نتصور كيف يتميز يهوه من الغيظ ويفور فائره على الكاهن إذا التبس عليه الأمر فأخطأ فيما بين الأيمن والأيسر من أعضاء الجسم .

وإليكم بعض مايبوء به الكاهن من مغانم

«ذبيحة الإثم كذبيحة الخطية . لهما شريعة واحدة . الكاهن الذى يكفر بها تكون له . والكاهن الذى يقرب محرقة إنسان المحرقة التى يقربها تكون له . وكل تقدمة خبزت فى التنور وكل ما عمل فى طاجن

أو على صاج يكون للكاهن الذى يقربه . وكل تقدمة ملتوتة بزيت أو ناشفة تكون لجميع بنى هرون كل إنسان كأخيه » .

لاويون ٧ : ٧ — ١٠

حقا ، لقد استهتر(١) يهوه بأمور الجزارة والطهاية ثم انصرف إلى ابتكار طرز اللباس (تصميم الأزياء) فشغل الإصحاح الثامن والعشرين من سفر الخروج كله بوصف حلة الكاهن هرون أخى موسى ، ومن ذلك قوله فى وصف الصدرة المنشودة .

« وتصنع صدرة قضاء . صنعة حائك حاذق كصنعة الرداء تصنعها. من ذهب وأسمانجونى وأرجوان وقرمز وبوص مبروم تصنعها . تكون مربعة مثنية طولها شبر وعرضها شبر وترصع فيها ترصيع حجر أربعة صفوف حجارة . صف عقيق أحمر وياقوت أصفر وزمرد . الصف الأول . والصف الثانى بهرمان وياقوت أزرق وعقيق أبيض . والصف الثالث عين الهر ويشم وجمشت . والصف الرابع زبرجد وجزع ويشب . تكون مطوقة بذهب فى ترصيعها . وتكون الحجارة على أسماء بنى إسرائيل اثنى عشر على أسمائهم . كنقش الخاتم كل واحد على اسمه تكون للاثنى عشر سبطا .

وتصنع على الصدرة سلاسل مجدولة صنعة الضفر من ذهب نقى . وتصنع على الصدرة حلقتين من ذهب . وتجعل الحلقتين على طرفى الصورة وتجعل طرفى الضفيرتين الآخرين فى الطوقين وتجعلهما على

(١) استهتر بالشىء : فتن به ولزمه غير مبال بنقد ولا موعظة ، يقال استهتر بالشراب واستهتر بفلانة .

كتفى الرداء إلى قدامه . وتصنع حلقتين من ذهب وتضعهما على طرفى الصدرة على حاشيتها التى إلى جهة الرداء من داخل . وتصنع حلقتين من ذهب وتجعلهما على كتفى الرداء من أسفل من قدامه عند وصله من فوق زنار الرداء . بخيط من أسمانجونى ليكون على زنار الرداء . ولا تنزع الصدرة عن الرداء . فيحمل هرون أسماء بنى إسرائيل فى صدرة القضاء على قلبه عند دخوله إلى القدس للتذكار أمام الرب دائماً . وتجعل فى صدرة القضاء الأوريم والتميم لتكون على قلب هرون عند دخوله أمام الرب. فيحمل هرون قضاء بنى إسرائيل على قلبه امام الرب دائماً » .

خروج ٢٨ : ١٥ - ٢٠

واستفاض الحديث بين الطرفين الساميين كذلك فى مقاييس قطع الرياش والأثاث وما يرتفق به فى أماكن العبادة ، وأخذ يهوه يحصى مطالبه .

« وكلم الرب موسى قائلا . كلم بنى إسرائيل أن يأخذوا إلى تقدمة ... ذهب وفضة ونحاس وأسمانجونى وأرجوان وقرمز وبوص وشعر معزى وجلود كباش محمرة وجلود تخس وخشب سنط وزيت للمنارة وأطياب لدهن المسحة وللبخور العطر وحجارة جزع » .

خروج ٢٥ : ١ - ٧

واسترسلا فى الحديث فطال بهما الوقت إذ كان موسى الكليم « أغلف الشفتين » .

خروج ٦ : ١٢

ومضى يهوه فى بيان الأشياء التى هو بحاجة إليها مستوعباً الإصحاحات ٢٥ إلى ٣١ من سفر الخروج .

ويبدو أن أحاديث الغذاء والكساء هذه كانت شائقة فألهت طلاوتها موسى ، وهو شيخ قد ذرف على الثمانين ، عن طعامه وشرابه أياماً وأسابيع فهاهو وهو فى صبارة(١) القر فوق عرعرة(٢) الجبل وأنسته أيضاً رعيته فبرمت بانتظاره . لقد ظلت تتطلع إليه مترقبة قدومه ولكنها لم تر إلا سحابا ، وشعروا بالحاجة إلى زعيم جديد و — من ثم — إلى إله جديد ، فطلبوا إلى هرون أن يصنع لهم إلها يتخففون به من وطأة عزلتهم الدينية ، وسرعان مالبى هرون طلبتهم مبتهجاً بتلك الفرصة المتيحة له أن يتخذ موقف الند من الند تجاه أخيه الذى يهيمن عليه مع أنه يصغره فى السن .

وطلب هرون إلى قومه أن يلقوا إليه بما يقتنون من ذهب ، وهذا هو الطلب الأول لكل كاهن فى كل قطر وفى كل عصر .

« فقال لهم هرون انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها » .

خروج ٣٢ : ٢

وبادر القوم ذكورا وإناثا إلى نزع أقراطهم فصاغها هرون على

---

(١) الصبارة : شدة البرد .

(٢) عرعرة كل شيء : أعلاه . يقال عرعرة الجبل .

هيئة العجل(١) ، ولعله توخى أن يجيء بالعجل المصوغ شبيها بعجل أبيس الذى كان يعبد يوما فى مصر .

---

(١) يربأ القرآن بهرون عن إتيان هذه الفعلة الذميمة ويذهب إلى أن مقترفها هو رجل سامرى لايعرف رجال اللاهوت الإسلامى من أمره شيئا . والمعروف أن السامريين شيعة من اليهود يعترفون بالتوراة وحدها دون سائر الكتب الدينية الأخرى ولا يعترفون بالسنة .

نقل الطبرى فى كتابه «تاريخ الأمم والملوك» عن عن . . عن ابن عباس أنه قال :

كان السامرى رجلا من أهل باجرما وكان من قوم يعبدون البقر فكان حب عبادة البقر فى نفسه وكان قد أظهر الإسلام فى بنى إسرائيل ، فلما فصل موسى عن بنى إسرائيل إلى ربه تبارك وتعالى قال لهم هرون إنكم قد حملتم أوزارا من زينة القوم آل فرعون وأمتعة وحلياً فتطهروا منها فإنها نجس ، وأوقد لهم ناراً وقال اقذفوا ما كان معكم من ذلك فيها قالوا نعم فجعلوا يأتون بما كان فيهم من تلك الحلى وتلك الأمتعة فيقذفون به فيها حتى إذا انكسرت الحلى فيها رأى السامرى أثر فرس جبرائيل فأخذ ترابا من أثر حافرة ثم أقبل إلى الحفرة فقال لهرون يانبى الله ألقى ما فى يدى . قال نعم ولا يظن هرون إلا أنه كبعض ما جاء به غيره ، فقذفه فيها وقال كن عجلا جسداً له خوار فكان للبلاء والفتنة ، فقال هذا إلهكم وإله موسى فعكفوا عليه وأحبوه حباً لم يحبوا مثله شيئاً قط . وكان اسم السامرى موسى بن ظفر ، وقع فى أرض مصر فدخل فى بنى اسرائيل .

فلما رأى هرون ماوقعوا فيه قال ياقوم إنما فتنتم به — إلى قوله — حتى يرجع إلينا موسى . فأقام هرون فيمن معه من المسلمين ممن لم يفتتن وأقام من يعبد العجل على عبادة العجل وتخوف هرون إن سار بمن معه من المسلمين أن يقول له موسى فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى ، وكان هائباً مطيعاً . ولما أنتهى موسى إلى قومه ورأى ماهم فيه من عبادة العجل ألقى الألواح من يده وكانت فيما يذكرون من زبرجد أخضر ثم أخذ برأس أخيه ولحيته ويقول ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعنى — إلى قوله — ولم ترقب قولى . قال يا ابن أم ، إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الأعداء ولاتجعلنى مع القوم الظالمين فارعوى موسى وقال رب أغفرلى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين . أو هذا ما اخترعته مخيلة ابن العباس — إن صحت الرواية — ويكفى لتفنيد هذا الهراء أن نعرف أن اليهود فى أيام موسى لم يكونوا يعرفون شيئاً من أمر جبريل ومن اليه من الملائكة المجنحين .

«فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلا مسبوكا. فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من مصر. فلما نظر هرون بنى مذبحا أمامه ونادى هرون وقال غدا عيد للرب . فبكروا فى الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة . وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب » .

خروج ٣٢ : ٤-٦

وليس يفوتنا هنا أن نذكر أن العبريين القدمـاء كانوا فى غوابر أيامهم يعبدون عجلا ذهبا أو مذهبا، وكانوا يتخذون منه إلها ورمزا للقوة وللإخصاب.ويذهب الكثير من علماء الانثروبولوجيا(١) إلى أن الموطن الاصلى للساميين هو بلاد العرب حيث كان العجل الوحشى حيوانا مقدسا يقيمونه فى معابدهم زائنا لها وحاميا لحماها . وفى الكتاب المقدس مواضع شتى تجد فيها موازنة بين إله العبرانيين والعجل الوحشى، ومن ذلك قول بلعام يصف يهوه ويذكر كيف أخرج شعبه المختار حثيثا من مصر .

« الله أخرجه من مصر . له مثل سرعة الرئم »

عدد ٢٣ : ٢٢

ويبدو أن القوم كانوا مايزالون فى حيرة من أمرهم لا يقطعون من الذى انتشلهم من وهدة العبودية : أهو الإله الذى لهج بذكره موسى أو هو العجل الذى قال لهم هرون ومشايعوه بصدده :

(١) علم الإنسان وهو علم يبحث فى أصل الجنس البشرى وتطوره وأعراقه وعاداته ومعتقداته .

« هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر »

خروج ٣٢ : ٤

لقد عهدنا موسى يتلقى الشريعة مشافهة فيدونهـــا بخطه وينقل التشريعات الجديدة إلى الشعب الإسرائيلى فيعاهدونه على الاستمساك بها فيقدس موسى هذه المعاهدة بالدم كما جرت العادة فى الشعوب البدائية.

« فكتب موسى جميع أقوال الرب(١). وبكر فى الصباح وبنى مذبحا فى أسفل الجبل . . . وذبحوا ذبائح سلامة للرب من الثيران . . . وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال هو ذا دم العهد الذى قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال » .

خروج ٢٤ : ٤ — ٨

بيد أن يهوه أراد مرة أن يعطيه الشريعة مكتوبة .

« وقال الرب لموسى اصعد إلىّ إلى الجبل وكن هناك فأعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التى كتبتها لتعليمهم . فقام موسى ويشوع خادمه ، وصعد موسى إلى جبل الله »

خروج ٢٤ : ١٢ — ١٣

(١) هذا مع ملاحظة أن جهابذة العلماء أجمعوا على أن بنى إسرائيل لم يعرفوا القراءة والكتابة إلا منذ القرن التاسع ق . م وعلى أن لغتهم المكتوبة ظلت إلى القرن السابع الميلادى خلوا من علامات الإعجام والضبط أى الشكل الذى يقوم مقام أحرف العلة لخلو اللغة العبرية منها ، وقد نقل اليهود هذه العلامات عن العرب الذين ابتدعوها لضبط كتابة القرآن .

أما يشوع فقد اكتفى بالقيام ولكنه لم يصمد، ولا نعرف كيف كان مسلكه بازاء الأحداث التالية ، إذ أنه لم يكن عندئذ أكثر من خادم لموسى كما سيأتى :

وتحدث يهوه مليا إلى موسى :

« ثم أعطى موسى عند فراغة من الكلام معه فى جبل سينا لوحى الشهادة . لوحى حجر مكتوبين بإصبع الله »

خروج ٣١ : ١٨

وأنهى يهوه هذا اللقاء الإلهى السامى بأن أنهى إلى موسى أن الشعب التف حول العجل الذهبي وقدم له فروض العبادة ، فانحدر موسى من الجبل حاملا معه لوحى الشهادة . ومع أنه لم يفاجأ حين شاهد بنى إسرائيل يرقصون حول العجل فقد أظهر حنقا شديداً .

« وطرح اللوحين من يديه وكسرهما فى أسفل الجبل »

خروج ٣٢ : ١٩

فياله من مسلك .

وجمع موسى إليه ذوى قرابته من بنى لاوى .

« فقال لهم . هكذا قال الرب إله إسرائيل . ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وارجعوا من باب إلى باب فى المحلة واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه. ففعل بنو لاوى

بحسب قول موسى . ووقع من الشعب فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجـل »

خروج ٣٢ : ٢٧ — ٢٨

ها هو ذا موسى الذى أنزلت عليه الوصية السادسة « لا تقتل » .

خروج ٢٠ : ١٣

ينتهك هذه الوصية إذ يقتل بنى قومه فى غير تمييز لأنهم انتهكوا الوصية الثانية التى تنهى عن صنع الأصنام وعبادتها ، وهى وصية لم يكن قد ذكر فيها نوع عقاب من يخالف عنها ، وعهدنا بالقوانين فى البلاد المتمدنة أنها لاتكتفى ببيان ما هو عدوان محظور وماهو حق مباح فحسب ، بل تبين كذلك مدى العقوبة التى توقع على مقترف الخطأ .

أما الشقيق العزيز هرون ، ذلك الذى خان وكالته وأفسد رعيته وأيقظ الفتنة النائمة ، فقد كان كل ما وفق إليه من عذر يتعلل به هو أنه لم يصنع العجل على عمد وأنه لم يفعل شيئا غير أن جمع الذهب وأوقد عليه النار فإذا هو عجل يكاد يسمع له خوار .

« فقلت لهم من له ذهب فلينزعه ويعطيني فطرحته فى النار فخرج هذا العجل »

خروج ٣٢ : ٢٤

ولم يشرك هذا الشقيق العزيز ، سادن(١) العجل الذهب ، رفاقه عباد هذا العجل مصيرهم الفاجع، كما أنه لم يشرك شقيقته النبية مريم ابنة عمرام

(١) سدن الرجل : خدم الكعبة أو بيت الصنم .

ما ألم(١) بها من البرص عندما انبرى كلاهما يعتاب أخاه موسى ويزرى عليه تزوجه امرأة من بنات الحبش(٢) .

(١) ألم على القوم : أتاهم فنزل بهم وزارهم زيارة غير طويلة .

(٢) « وتكلمت مريم وهرون على موسى بسبب المرأة الكوشية التي اتخذها . لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية ...

فحمي غضب الرب عليهما ومضى . فلما ارتفعت السحابة عن الخيمة إذا مريم برصاء كالثلج ... فصرخ موسى إلى الرب قائلا اللهم اشفها . فقال الرب لموسى ولو بصق أبوها بصقا في وجهها أما كانت تخجل سبعة أيام خارج المحلة . تحجز سبعة أيام خارج المحلة وبعد ذلك ترجع »

عدد ١٢ : ١-١٤

١٣
الوصايا العشر

مهد موسى لفرض الوصايا العشر على قومه بتهيئته جوا سحريا يشل أذهانهم ويبلد نفوسهم فيدعهم يتقبلون مايوحيه إليهم معقولا كان أو غير معقول . ولئن كان كهنة الأديان البدائية الأخرى يتوسلون إلى إيقاع عشائرهم في غيبوبة روحية بعاطاتهم أشربة روحية ونباتات مخدرة . لقد لجأ موسى إلى إحداث التأثير النفسي في الملايين الثلاثة من المهاجرة الذين تظلهم رايته وأحاط الأمر كله بالغموض.

١ — فدعا القوم إلى التطهر بغسل الثياب والصوم عن قربان النساء .

« فقال الرب لموسى اذهب إلى الشعب وقدسهم اليوم وغدا . وليغسلوا ثيابهم »

خروج ١٩ : ١٠

٢ — وحذرهم من الدنو(١) من الجبل الذي سيصعد فيه لتكليم يهوه

٣ — وأمعن في استغلال ظواهر الطبيعة الغاضبة الصاخبة من تكاثف السحب وهزيم الرعود ووميض البروق ، ولعل بعض أعوانه كانوا ينبثون بين شعاب الجبال يطلقون الدخان وينفخون في الأبواق .

« وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار .

(١) قرب الشيء : دنا منه وباشره . وللتشديد في النهي عن الأمر يقال لاتقربه و — الرجل زوجته : جامعها ومنه (ولاتقربوهن حتى يتطهرن) .

وصعد دخان كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جداً . فكان صوت البوق يزداد اشتدادا جداً وموسى يتكلم والله يجيبه »

خروج ١٩ : ١٨ — ١٩

٤ — وتخلت أعصاب القوم وسرى الرعب فى أوصالهم ، فابتهلوا إلى موسى أن ينقل إليهم مشيئة يهوه ولا يدعه يشافههم بالحديث فيوبقهم ، فإن لهم من خبرتهم به ما يحفزهم إلى الهرب من أذاه .

٥ — ووصل آخر الأمر إلى الغاية المنشودة ، فأوجب عليهم البذل للكهنة والتضحية للرب والتبرع بالأبقار والأغنام وهما قوام الثراء فى تلك الأيام .

٦ — وليس يفوتنا أن نلاحظ أن عنصر التضحية المصطبغة بالدم قد برز هنا ، فإن شعائر كل دين تدل على عمره كما تدل الأحافير على مقدار تقادم الطبقات الأرضية التى تحتوى عليها .

٧ — إن ختام الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر الخروج يلقى على الموضوع ضوءا يكشف عن خبيئته .

«وكان لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة فى يد موسى عند نزوله من الجبل أن موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع فى كلامه معه . فنظر هرون وجميع بنى إسرائيل موسى وإذا جلد وجهه يلمع . فخافوا أن يقتربوا إليه . فدعاهم موسى . فرجع إليه هرون وجميع الرؤساء فى الجماعة . فكلمهم موسى . وبعد ذلك اقترب جميع بنى إسرائيل فأوصاهم بكل ما تكلم به الرب معه فى جبل سيناء . ولما فرغ موسى من الكلام معهم جعل على وجهه برقعاً . وكان موسى عند دخوله أمام الرب ليتكلم معه ينزع البرقع حتى يخرج . ثم يخرج ويكلم بنى إسرائيل بما يوصى . فإذا رأى بنو إسرائيل وجه

موسى أن جلده يلمع كان موسى يرد البرقع على وجهه حتى يدخل ليتكلم معه » .

خروج ٣٤ : ٢٩ — ٣٥

فالموضوع كله ، كما يتضح من ذلك ، لا يعدو أن يكون عملا من أعمال الشعوذة .

*

تنتظم الوصايا المدونه فى الإصحاح المتمم للعشرين من سفر الخروج ١٣ وصية مكتوبة فى ١٦ جملة، وقد أسموها مع ذلك بالوصايا العشر لأن الرقم « ١٠ » كان عندهم ذا شأن(١) .

وقد ذكرت الوصايا العشر مرة أخرى فى الإصحاح الخامس من سفر تثنية الاشتراع على صورة تختلف عن صورتها الأولى مع أن الصورتين موحى بهما من مصدر واحد إلى شخص واحد .

ومن أمثلة ذلك أن الوصية الرابعة التى تحض على تقديس يوم السبت قد وردت فى سفر الخروج فى ٥٣ كلمة عربية (و ٩٤ كلمة إنجليزية) على حين هى قد وردت فى سفر التثنية فى ٦٨ كلمة عربية (و ١٣٣ كلمة إنجليزية) وذلك مع اختلاف المتنين فى بيان توضيح السبب الذى وجب من أجله تقديس السبت .

(١) وقد زعم أحد مدرسى علم الحساب أننا نستعمل الوحدات العشرية فى حساباتنا لأن لنا فى كلتا يدينا عشر أصابع .

فى سفر الخروج	فى سفر التثنية
لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح فى اليوم السابع .	واذكر أنك كنت عبدا فى أرض مصر فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة . لأجل ذلك أوصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت .

وقد ذكر السبب فى تقديس السبت مرة أخرى قبل ذلك .

« وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل . وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا »

تكوين ٢ : ٢ - ٣

وهذا يعنى أن تقديس السبت كان منذ بدء الخليقة لا منذ أيام موسى فحسب ، وذلك يناقض كل المناقضة ما يؤخذ من قوله .

« سبوتى تحفظونها . لأنه علامة بينى وبينكم فى أجيالكم . لتعلموا أنى أنا الرب الذى يقدسكم »

خروج ٣١ : ١٣

ونرى كذلك اختلافا بينا بين المتنين فيما يتصل بالوصية العاشرة التى تنهى عن الحسد ، فهى .

فى سفر الخروج . إصحاح ٢٠	فى سفر التثنية . إصحاح ٥
لا تشته بيت قريبك . لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك .	ولا تشته امرأة قريبك ولا تشته بيت قريبك ولا حقله ولا عبده ولا ثوره ولا حماره ولا كل ما لقريبك .

ويرى فقهاء الكتاب المقدس أن النص الذى فى سفر التثنية كتب بأخرة ، ودليلهم على ذلك .

١ — استعماله حرف الواو للإضافة فى الوصايا السابعة وما بعدها

٢ — ذكر « الحقل » فى ذلك النص .

وثم ملاحظة أخرى هى أن الوصايا ، فى سفر الخروج ، تليت على موسى شفاها .

« ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلا »

خروج ٢٠ : ١

على حين هى فى سفر التثنية ، قد سلمت إليه مكتوبة .

« فكتبت على اللوحين مثل الكتابة الأولى الكلمات العشر التى كلمكم بها الرب فى الجبل من وسط النار فى يوم الاجتماع وأعطانى الرب اياها(١) .

تثنية ١٠ : ٤

(١) هذا ، وقد بدل المسيحيون فى متون هذه الوصايا شيئاً ما ، فمن ذلك أنهم حذفوا من الوصية الأولى جملة =

ولنتابع الآن قصة اللوحين الحجريين

«ثم قال الرب لموسى انحت لك لوحين من حجر الأولين فأكتب أنا

= « الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية » .

خروج ٢٠ : ٢

لأنها لاتنطبق عليهم ، فهم لم يكونوا قط فى مصر ولم يحررهم يهوه من العبودية. وقد أطاح البروتستانت الوصية الأولى جملة وأحلوا محلها فقرة من الوصية الثانية. أما الكاثوليك فقد أبقوا من الوصية الأولى كلمات ضئيلة ، فأصبح نصها :

عند اليهود	عند الكاثوليك	عند البروتستانت
أنا الرب الهك . الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية	لا يكن لك آلهة أجنبية أمامى	لا يكن لك آلهة أخرى أمامى

أما الوصية الثانية ، تلك التى تحرم صنع التماثيل فقد طوح بها الكاثوليك لأنها تناوىء أكثر شعائرهم الدينية إدرارا للربح ، فهم يصنعون التماثيل المنحوتة ويعبدون مايصنع من تماثيل القديسين .

لقد عرف الكاثوليك ، فى القرن السادس ، الصليب الذى نقشت فيه صورة المسيح مصلوباً (ويسمى هذا الصليب المنقوش فى الانجليزية crucifix على حين يسمى الصليب الأمسح cross وقد أقره مجمع القسطنطينية سنة ٦٩٢ كما أقر المجمع العام السابع فى اجتماعه بمدينة نيقية سنة ٧٨٧م (وهو المعروف باسم المجمع النيقاوى الثانى) تقديس صور المسيح والقديسين دون عبادتها . وقد تم هذا القرار على الرغم من المعترضين وعلى رأسهم ملك الفرنجة شارلمان (٧٤٣ـ٨١٤م) . وقد عمدت الكنيسة من ذلك الوقت إلى حذف الوصية الثانية من مطبوعات الكتاب المقدس وإلى إحلال الوصية الثالثة محلها ، بيد أن الناس لم يتنبهوا لذلك إلا بعد حين.

وبذلك أصبح نص الوصية الثانية .

على اللوحين الكلمات التى كانت على اللوحين الأولين اللذين كسرتهما » .

خروج ٣٤ : ١

هذا وعد صريح قاطع بأن يكتب الله على اللوحين الجديدين صورة ما كان قد خطه بإصبعه على اللوحين القديمين .

« فنحت لوحين من حجر كالأولين . وبكر موسى فى الصباح وصعد الى جبل سيناء كما أمره الرب . وأخذ فى يده لوحى الحجر »

خروج ٣٤ : ٤

« فنزل الرب فى السحاب »

خروج ٣٤ : ٥

وتحدث الرب قليلا إلى موسى ثم أخذ يتلو عليه الوصايا العشر ، فكانت أولاها .

=

عند اليهود	عند الكاثوليك	عند البروتستانت
لا يكن لك آلهة أخرى أمامى .		
	لاتنطق باسم الرب إلهك باطلا	
لا يصنع لك تمثالا منحوتا ... الخ		لاتصنع لك تمثالا منحوتا ... الخ

وتستمر الحال على هذا المنوال ، فبينا نجد الوصية « لاتسرق » هى الثانية عند اليهود والبروتستانت إذا هى السابعة عند الكاثوليك. وهذا شأن الوصية « لا تشهد على قريبك شهادة زور » فهى التاسعة عند اليهود والثامنة عند الكاثوليك. وقد وضع الكاثوليك فى مكان الوصية التاسعة جزءا من الوصية العاشرة .

« لا تصنع لنفسك آلهة مسبوكة ».

خروج ٣٤ : ١٧

وكانت عاشرتها :

« أول أبكار أرضك تحضره إلى بيت الرب الهك . لا تطبخ جديا بلبن أمه »(١) .

خروج ٣٤ : ٢٦

وهى مجموعة من الوصايا تختلف اختلافا بينا عن تلك التى كان الله قد خطها بإصبعه فى اللوحين الأولين .ولقد وعد يهوه نبيه موسى بأن يكتبها بإصبعه مرة أخرى على اللوحين الآخرين ، بيد أنه أخلف وعده

« وقال الرب لموسى اكتب لنفسك هذه الكلمات . لأننى بحسب هذه الكلمات قطعت عهداً معك ومع إسرائيل . وكان هناك عند الرب أربعين نهاراً وأربعين ليلة لم يأ كل خبزا ولم يشرب ماء . فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر » .

خروج ٣٤ : ٢٧ — ٢٨

لو ان أحدا عثر على هذين اللوحين الحجريين الجديدين لما كان لهما مثل قيمة اللوحين الأولين اللذين كتبهما يهوه بإصبعه القدسية . ومع ذلك فإن كتب موسى لهما وإكتاب(٢) الله له إياها يجعلهما لا يقومان بثمن . فما الذى صار إليه أمرهما ؟ إن التوراة لا تذكر أنهما حطما كاللوحين الأولين . فأين ترى مكانهما ؟

(١) يؤمن البدائيون بفعالية السحر ، ويعتقدون أن المرء إذا جمع على مائدته بين اللحم واللبن تولدت من اجتماعهما صلة سحرية عاطفية وخيمة العاقبة .

(١) أكتب فلانا قصيدة ونحوها : أملاه إياها .

١٤
السفاح

لم ينته موسى عن القتل بعد ما فصل عن مصر مخلفا فى كل بيت من بيوتها مأتما يتجاوب فيه عجيج الحزانى وصوات الثكالى ، فقد كان مفطورا على الصرامة والقسوة مطبوعا على العنف وسفح الدم ، إذا أعوزه المجال لاصطلام الخصوم والأعداء لم يعدم مسوغا للفتك بالأتباع والعشراء . وعندما تردى برداء المشرّع جعل القتل عقابا أكيدا لمن يخالف شريعته فى جسام الأمور وسفسافها ، وجعل كلما نهى عن شيء يعزز النهى متوعدا بالقتل .

« ٩ — كل إنسان سب أباه أو أمه فإنه يقتل . قد سب أباه أو أمه . دمه عليه(١) » .

١٠ — وإذا زنى رجل مع امرأة فإذا زنى مع امرأة قريبه(٢) فإنه يقتل الزانى والزانية .

١١ — وإذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه فقد كشف عورة أبيه . إنهما يقتلان كلاهما . دمهما عليهما

١٢ — وإذا اضطجع رجل مع كنته(٣) فإنهما يقتلان كلاهما . قد فعلا فاحشة دمهما عليهما .

(١) يعنى هو الجانى على نفسه ، ويقول بعض العامة : ذنبه على جنبه .

(٢) مع امرأة قريبه تعني أيضاً مع امرأة يهودية .

(٣) الكنة : امرأة الابن أو الأخ .

١٣ — وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعلا كلاهما رجسا . إنهما يقتلان . دمهما عليهما .

١٤ — وإذا اتخذ رجل امرأة وأمها فذلك رذيلة بالنار يحرقونه وإياهما لكى لا يكون رذيلة بينكم .

١٥ — وإذا جعل رجل مضجعه مع بهيمة فإنه يقتل والبهيمة تميتونها .

١٦ — وإذا اقتربت امرأة إلى بهيمة لنزائها تميت المرأة والبهيمة. إنهما يقتلان . دمهما عليهما .

١٧ — وإذا أخذ رجل أختـه بنت أبيه أو بنت أمـه ورأى عورتها ورأت هى عورته فذلك عار . يقطعان أمام أعين بنى شعبهما قد كشف عورة أخته . يحمل ذنبه .

١٨ — وإذا اضطجع رجل مع امرأة طامث وكشف عورتها عرى ينبوعها وكشفت هى ينبوع دمها يقطعان كلاهما من شعبهما .

١٩ — عورة أخت أمك أو أخت أبيك لا تـكشف . إنه قـد عرى قريبته . يحملان ذنبهما .

٢٠ — وإذا اضطجع رجل مع امرأة عمه فقد كشف عورة عمه. يحملان ذنبهما . يموتان عقيمين .

٢١ — وإذا أخذ رجل امرأة أخيه فذلك نجاسة . قد كشف

عورة أخيه . يكونان عقيمين(١) .

لاويون ٢٠ : ٩ — ٢١

« إذا كان فى رجل أو امرأة جان(٢) أو تابعة فإنه يقتل »

لاويون ٢٠ : ٢٧

« إذا أغواك سرآ أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذى مثل نفسك قائلا نذهب ونعبد آلهة أخرى لم

---

(١) لو أن هذه الحدود طبقت على من سبق موسى من شيوخ العبرانيين لأودت بحياة الـكثيرين منهم.

إن «أبرام» الأب الأعلى لبنى إسرائيل وأرومة دوحة النبوة فيهم بنى بأختة لأبيه « ساره » وكشف عورتها .

« وبالحقيقة هى أختى ابنة أبى غير أنها ليست ابنة أمى فصارت لى زوجة »

تـكوين ٢٠ : ١٢

وسار الذبيح اسحق فى الدرب الذى سلـكه أبوه ، فاصطحب امرأته الحسناء رفقة إلى جرار لينعم بالعيش الرغد معها فى رحاب ملـكها أبيمالك .

« وسأله أهل المـكان عن امرأته فقال هى أختى ... »

تـكوين ٢٦ : ٧

وافترع لوط ابنته وأولد كلا منهما ابنا

« فحبلت ابنتا لوط من أبيهما . فولدت البـكر ابنا ودعت اسمه موآب ، وهو أبو الموآبيين الى اليوم . والصغيرة أيضاً ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمى . وهو أبو بنى عمون إلى اليوم » .

تـكوين ١٩ : ٣٤ – ٣٨

وزنا يهوذا ابن يعقوب « أى أخو يوسف » على ثامار أرملة ابنه .

«فنظر يهوذا وحسبها زانية لأنها كانت قد غطت وجهها ... ودخل عليها فحبلت منه » .

تـكوين ٣٨ : ١٥ـ ١٨

(٢) يعنى إذا أصيب المرء بمرض عقلى . لاحظ الاشتقاق اللغوى بين الجان والجنون .

تعرفها أنت ولا آباؤك . . . فلا ترض منه ولا تسمع له ولا تشفق عينك عليه ولا ترق له ولا تستره بل قتلا تقتله . يدك تكون عليه أولا لقتله ثم أيدى جميع الشعب أخيرا ترجمه بالحجارة حتى يموت »(١) .

تثنية ١٣ : ٦ — ١٠

وكذلك خروج ١٢ : ١٩
» ١٩ : ١٣
» ٢١ : ١٧
» ٢١ : ٢٨
» ٢١ : ٣٨
» ٣٠ : ٣٨
» ٣١ : ١٤ — ١٥
» ٣٥ : ٢
» ٢٢ : ١٨ — ٢٠
» ٢٠ : ٦
لاويون ٧ : ٢٢ — ٧٢
» ٢٠ : ٢٧
» ٢٤ : ٢٦
» ٢٦ : ٢٧ - ٢٩

(١) وطوعاً لذلك لاعجب أن اليهود صلبوا الرب يسوع وقد مثل بينهم بشرا يدعوهم إلى دين غير الذى ألفوا ، فقطعوا عليه سبيل الحجاج واللجاج ولم يحتكموا فى دعاواه إلى العقل والمنطق بل وقفوا منه موقفهم المعروف امتثالا لأمر يهوه وشعارهم القتل عند اختلاف العقيدة .

لاويون ٢٧ : ٢٩
عدد ٣ : ١٠
» ٩ : ١٣
» ١٧ : ١٣
» ٣٥ : ٣١
تثنية ١٣ : ٦ — ١٠
» ١٧ : ١٢
» ٢١ : ١٨ — ٢١

وهلم جرا

ولم يقف الأمر عند حد التهديد والوعيد بل جرى مجرى التحقيق والتنفيذ ، ومن ذلك أنه .

« خرج ابن امرأة إسرائيلية وهو ابن رجل مصرى فى وسط بنى إسرائيل . وتخاصم فى المحلة ابن الإسرائيلية ورجل إسرائيلى . فجدف ابن الإسرائيلية على الاسم وسب . فأتوا به إلى موسى ... فكلم موسى بنى إسرائيل أن يخرجوا الذى سب إلى خارج المحلة ويرجموه بالحجارة ففعل بنو إسرائيل كما أمر الرب موسى » .

لاويون ٢٤ : ١٠ — ٢٣

وهكذا قتل موسى ابن المصرى فى سينا بعد أن قتل شابا مصريا فى مصر قبل ٤٠ عاما وبعد أن أثخن فى المصريين - بعد مآبه من مدين - تقتيلا وتنكيلا .

وحدث أن رجلا بائسا من أتباعه رأى أن يهيء لأطفاله المقرورين

جذوة يصطلون بها احتماء من زمهرير الصحراء وينضجون عليها طعامهم .

« ولما كان بنو إسرائيل فى البرية وجدوا رجلا يحتطب حطبا فى يوم السبت فقدمه الذين وجدوه يحتطب حطبا إلى موسى وهرون وكل الجماعة فوضعوه فى المحرس لأنه لم يعلن ماذا يفعل به . فقال الرب لموسى قتلا يقتل الرجل . يرجمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة . فأخرجه كل الجماعة إلى خارج ورجموه بحجارة فمات كما أمر الرب موسى » .

عدد ١٥ : ٣٢ - ٣٦

وهكذا نجد موسى ، وهو الذى اغتفر لهرون ماصنع من جمع الذهب المسروق من مصر وصياغته عجلا ذهبا بنى له مذبحا وأمر العشيرة أن تسوق إليه ذبائحها ، نجده لم تداخل قلبه الرحمة . بذلك المسكين ، وهو إنما أتى عملا لم يكن قد حدد لمقترفه عقاب معلوم ، فأفتى بقتله رجما ، ولما استحال هذا الذى كان قبلا رجلا كتلة لاشكل لها من اللحم المهرأ ، عنّ للمشرّع الكبير أن يخلط الجد بالهزل ، فأمر القوم رجالا ونساء أن يضعوا فى أذيال ثيابهم أهدابا (شراريب) وشرائط زرقاء اللون .

« وكلم الرب موسى قائلا . كلم بنى إسرائيل وقل لهم أن يصنعوا لهم أهدابا فى أذيال ثيابهم فى أجيالهم ويجعلوا على هدب الذيل عصابة من أسمانجونى .

عدد ١٥ : ٣٧ - ٣٨

وحدث ذات يوم أن :

« ابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب . . . فقال الرب لموسى خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس فيرتد حمو غضب الرب عن إسرائيل. فقال موسى لقضاة إسرائيل اقتلوا كل واحد قومه المتعلقين ببعل فغور » .

عدد ٢٥ : ١ - ٥

الخ الخ .

*

يحصى اليهود أسماء كبار أعدائهم الذين أمعنوا فى التنكيل بهم على مر الزمان ، فيذكرون :

١ — سرجون الثانى ملك أشور ، فقد دهم فى سنة ٧٢٢ ق.م المملكة الشمالية إسرائيل بجحافله واستولى على حاضرتها « السامرة » ونفى من أهلها ألوفا لم يقيض لهم الاحتفاظ بشخصات قوميتهم فتفانوا فى غيرهم .

٢ — نبوخذ نصر (بختنصر) ملك الكلدان وقد غلب المملكة الجنوبية يهوذا على أمرها وافتتح حاضرتها أورشليم(١) سنة ٥٨٦ ق.م فأخرب ربوعها ونقض هيكل سليمان بها وسبى من أهلها ألوفا نقلهم

(١) وهى بيت المقدس ، ويذهب كثير من الشراح الى أنها هى المعنية بالآية « أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها .. » البقرة ٢٥٨

إلى بلاده ليسخرهم فى العمل هناك(١) .

٣ — قسطنطين الأول (الأكبر) الإمبراطور الرومانى ، نقل عاصمته فى سنة ٣٣٠ م إلى بيزنطه وأسماها القسطنطينية وتوفى سنة ٣٣٧م. اصطنع فى توطيد دعائم المسيحية أنكر الجرائم واستعان أكثر الوسائل اصطباغا بالدم، وقد حظر الزواج بين اليهود والمسيحيين وجعل القتل عقابا لمن يتهود من المسيحيين .

*

هاجر أولئك الإسرائيليون من مصر ومضوا يضربون فى شعاب سيناء عاما إثر عام باقدام كليلة وسحى كوالح وهم فاقدو الأمل ، تريهم من زعيمهم أمورشتى عدّد المؤرخ اليهودى الكبير يوسيفوس (المتوفى سنة ١٣٠ م تقريبا) طرفا منها ، فكان من ذلك :

١ — أنه وعدهم بأن يقودهم إلى أرض تفيض لبنا وعسلا ، فلما

---

(١) ولبثوا هناك زهاء نصف قرن خبروا فيه من ضروب التقدم الحضارى وشاهدوا من أشكال العبادات ما لم يعهدوه فى بلادهم من قبل ، ثم إن قورش الكبير ملك فارس غزا مملكة بابل فى سنة ٥٣٨ ق.م وأطلق من كان بها من أسرى اليهود وأمر بإعادة بناء الهيكل المنقوض ، ولهذا نجد النبى اليهودى أشعية يمجد هذا الملك الوثنى ويلقبه بمسيح الرب .

« هكذا يقول الرب لمسيحه كيروش »

أشعيا ٤ : ١

وكان الأحرى باليهود أن يذكروا فى مقدمة هؤلاء جميعاً أسم زعيمهم موسى ، فقد زج بهم جميعاً فى جحيم دنيوية فى وقت لم تكن الجحيم الأخروية قد عرفت فيه بعد .

أسلموه مقادهم لم يصدقهم ماوعد وتيههم فى فلاة مضلة غطشاء(١) لا يهتدون إلى سبيل الخروج منها .

٢ — وأنه جعل يسوسهم بالصرامة والقساوة ويشتط فى العنف بمن يخالف عن أمره ، ولو فى التافه ، ولا يرحم من يأتى هنة هينة على حين هو يغتمد للموزورين(٢) من أهله أفحش الخطايا وأنكر الآثام .

٣ — أنه أمعن فى ضرب الضرائب وفرض الفرائض عليهم ، وجعل يشرّع الشرائع ويسن القوانين لابتزاز أموالهم . وما أنفك يستحثهم باسم الرب على الإسراع فى تقديم بواكير ما يجنون من ثمار وما يعصرون من خمور .

«لا تؤخر ملء بيدرك وقطر معصرتك وأبكار بنيك تعطينى»(٣) ويتهدد المتخلفين عن أداء الضرائب بأن يفشى فيهم الأوبئة ويسلط عليهم الطواعين فيتخرمهم الموت الزؤام(٤) .

« يعطون كل واحد فدية عن نفسه للرب عندما تعدهم لئلا يصير فيهم وبأعندما تعدهم » .

خروج ٣٠ : ١٢

---

(١) غطش البصر : ضعف و — الليل : أظلم ، ويقال فلاة غطشى وغطشاء : مظلمة غمة التى لا يهتدى فيها لطريق .

(٢) غمد الشىء : ستره وغطاه ، غمده : ستر ما كان منه وغطى عيوبه ، تغمد : ستر ما كان منه وغطى عيوبه ، الموزور : المرتكب الإثم .

(٣) الترجمة سقيمه وتصويبها هو:

« لا تتوان فى تقديم باكورة ما ينضج من ثمارك وما تعصر من خمورك وأسلم إلى بكر أبنائك .

(٤) الزؤام : العاجل .

وكانت التقاليد قبله تجعل الإشراف على مناسك العبادة من حق البطاركة العبرانيين وآباء الأسر الكبيرة فألغى موسى هذا التقليد وجعل ذلك الإشراف وقفاً على كهنة مختصين، ثم اصطفى للكهانة أخاه هرون وأولاده وحفدته من بعدهم وعين لهم الأرزاق الموفورة يؤديها إليهم أفراد الرعية صاغرين وسجل ذلك فى توراته فريضة مفروضة أبدا لأسرته على رعيته.

« فتأخذ خمسة شواقل لكل رأس على شاقل القدس(١) تأخذها. وأعطى موسى فضة الفداء لهرون وبنيه حسب قول الرب كما أمر الرب موسى ».

عدد ٣ : ٤٧ — ٥١

ثم خطا الخطوة الأخيرة فزعم أن الرب يهوه قد نزل عن جميع مغانمه للأسرة الموسويه وأقربائها بنى لاوى.

« وقال الرب لهرون ... هذا يكون لك من قدس الأقداس من النار كل قرابينهم مع كل تقدماتهم وكل ذبائح خطاياهم وكل ذبائح آثامهم التى يردونها لى. قدس أقداس هى لك ولبنيك. كل دسم المسطار(٢) والحنطة أبكارهن التى يعطونها للرب لك أعطيتها. أبكار كل ما فى أرضهم التى يقدمونها للرب لك تكون.. كل فاتح رحم من كل جسد يقدمونه للرب من الناس ومن البهائم يكون لك غير أنك تقبل فداءه وفداؤه من ابن شهر تقبله حسب تقويمك

(١) من الواضح أن هذا الكلام لم يوح به فى سيناء كما يزعمون وإنما كتبه أحبار اليهود بعد بضعة قرون فإن القدس لم تفتح إلا فى عهد داود أى بعد موسى بأكثر من ٤ قرون.

(٢) يقصد أن يقول كل ما كان ممتازا من الخمور.

فضة خمسة شواقل على شاقل القدس ... جميع رفائع الأقداس التى يرفعها بنو إسرائيل للرب أعطيتها لك ولبنيك وبناتك معا حقا دهريا. ميثاق ملح دهريا أمام الرب لك ولزرعك معا ... وأما بنو لاوى فإنى قد أعطيتهم. كل عشر فى إسرائيل ميراثا عوض خدمتهم التى يخدمونها خدمة خيمه الاجتماع ... إن عشور بنى إسرائيل التى يرفعونها للرب رفيعة قد أعطيتها للاويين نصيباً »

عدد ١٨ : ٨ — ٢٤

اللعبة واضحة لايحتاج تبينها إلى حديد ذكاء.

٤ — أنه خلس آنية الذهب والفضة وغيرها مما جمع عند تدشين المذبح، وإليكم بيانا ببعض ماجمعوه فلما افتقدوه لم يجدوه.

« هذا تدشين المذبح يوم مسحه من رؤساء إسرائيل. أطباق فضة أثنا عشر ومناضح فضة اثنتا عشرة وصحون ذهب اثنا عشر. كل طبق مئة وثلاثون شاقل فضة وكل منضحة سبعون. جميع فضة الآنية ألفان وأربع مئة على شاقل القدس. وصحون الذهب اثنا عشر مملوءة بخورا كل صحن عشرة على شاقل القدس. جميع ذهب الصحون مئة وعشرون شاقلا. كل الثيران للمحرقة اثنا عشر ثوراً والكباش اثنا عشر مع تقدمتها وتيوس المعز اثنا عشر لذبيحة الخطية. وكل الثيران لذبيحة السلامة أربعة وعشرون ثورا والكباش ستون والتيوس ستون والخراف الحولية ستون. هذا تدشين المذبح بعد مسحه ».

عدد ٧ : ٨٤ — ٨٨

٥ — أن أخاه اختزل الذهب الذى جمعه لصنع العجل، ثم طحنه موسى وذرّه، كله أو بعضاً منه على وجه الماء.

٦ — أنه ظفر بالسلطان فى نهزة ثم شرع يرسخ دعائمه ويضع من ضروب التشريع ما يكفل له استدامة هذا السلطان فى بيته أبد الدهر ، وجعل منصب الكهانة العظمى طعمة لأخيه ولذريته من بعده وهو أعظم مناصب تلك الحكومة الدينية جاها وأدرها رزقا .

وقد أرجع القوم كل ما حل بهم من النكبات إلى استئثار موسى بالسلطان ، وبدءوا يتألبون عليه وعلى أخيه هرون .

« وقالوا لهما كفاكما . إن كل الجماعة بأسرها مقدسة وفى وسطها الرب . فما بالكما ترفعان على جماعة الرب »

عدد ١٦ : ٣

وأحس موسى بالغيوم تنعقد فوق رأسه، فبعث إلى بعض أصفيائه وخاصانه يلتمس منهم نجدة ولكنهم لم يخفوا له .

« فأرسل موسى ليدعو داثان وأبيرام ابنى اليـآب . فقالا لا نصعد . أقليل أنك أصعدتنا من أرض تفيض لبنا وعسلا لتميتنا فى البرية حتى تترأس علينا ترؤسا(٢) ؟ كذلك لم تأت بنا إلى أرض تفيض لبنا وعسلا ولا أعطيتنا نصيب حقول وكروم . هل تقلع أعين هؤلاء القوم؟ لا نصعد . فاغتاظ موسى جدا وقال للرب لا تلتفت إلى تقدمتهما -

---

(١) الترجمة الصحيحة هى :
لتقتلنا فى البرية ما لم تتأمر علينا .

(٢) ولم تكن تلك أول مرة يلاحظ الإسرائيليون فيها على موسى نزوعه الى التأمر والترؤس ، وقبل قال له أحد العبريين فى مصر قبل فراره منها .
« من جعلك رئيساً وقاضياً علينا » .
خروج ٢ : ١٤

حماراً واحداً لم آخذ منهم ولا أسأت إلى أحد منهم »

عدد ١٦ : ١٢ — ١٥

ولكن للكهنة ومن أليهم أساليب ماكرة تسنى لهم التخلص من خصومهم وتصييرهم عبرة لكل من تحدثه النفس باعتراض سبيلهم . وقد هتك موسى بأولئك الأحرار الذين أبوا أن يساموا الخسف وعلى رأسهم قورح ، ثم زعم أن هلاكهم إنما هو معجزة تبرىء ساحته وتبرر مسلكه .

« وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وبيوتهم وكل من كان لقورح مع كل الأموال. فنزلوا هم وكل ما كان لهم أحياء إلى الهاوية وانطبقت عليهم الأرض فبادوا من بين الجماعة . وكل إسرائيل الذين حولهم هربوا من صوتهم لأنهم قالوا لعل الأرض تبتلعنا . وخرجت نار من عند الرب وأكلت المئتين والخمسين رجلا »

عدد ١٦ : ٣٢ — ٣٥

وقد أوغرت هذه المذبحة الرهيبة صدور القوم على هذا الحاكم بأمره وأججت نار الفتنة بينهم وألبتهم عليه فوقفوا فى وجهه صفا واحدا وجبهوه بتهمة القتل .

« فتذمر كل جماعة بنى إسرائيل فى الغد على موسى وهرون قائلين أنتما قد قتلتما شعب الرب »

عدد ١٦ : ٤١

ولم ينقذه هو وأخاه من براثنهم سوى وباء تفشاهم واخترم الكثير منهم ، سيان من عصى ومن أطاع .

« فكان الذين ماتوا بالوبأ أربعة عشر ألفا وسبع مئة عدا الذين ماتوا بسبب قورح »

عدد ١٦ : ٤٩

وهنا أعلن النبيان الشتميقان بهذه المعجزة الجديدة معتزين : لقد اقتص لهما يهوه .

*

أما الفظائع الموسوية فى الحروب فأجلّ من أن تقاس بها فظائع الذين حوكموا فى نورمبرج من مجرمى الحرب العالمية الثانية . استمع إلى نبي الإله اليهودى كيف يصف فى ازدهاء حربه على سيحون ملك الأموريين وكان مقيما ببلدة حشبون .

« فدفعه الرب إلهنا أمامنا فضربناه وبنيه وجميع قومه وأخذنا كل مدنه فى ذلك الوقت وحرّمنا من كل مدينة الرجال والنساء والأطفال . لم نبق شاردا . لكن البهائم نهبناها لأنفسنا »

تثنية ٢ : ٣٣ — ٣٥

ثم استمع إليه يسرد أحداث حربه على باشان وملكها عوج

« فضربناه حتى لم يبق له شارد وأخذنا كل مدنه . . . فحرّمناها كما فعلنا بسيحون ملك حشبون محرمين كل مدينة الرجال والنساء والأطفال . لكن كل البهائم وغنيمة المدن نهبناها لأنفسنا . وأخذنا فى ذلك الوقت من يد ملكى الأموريين الأرض التى فى عبر الأردن من وادى أرنون إلى جبل حرمون . . . إن عوج ملك باشان وحده

بقى من بقية الرفائيين(١). هوذا سريره سرير من حديد . أليس هو فى ربة بنى عمون(٢) طوله تسع أذرع وعرضه أربع أذرع بذراع رجل »

تثنية ٣ : ٣ — ١١

وتأهب لغزو كنعان :

« فنذر إسرائيل نذرا للرب وقال إن دفعت هؤلاء القوم إلى يدى أحرم مدنهم . فسمع الرب لقول إسرائيل ودفع الكنعانيين فحرموهم ومدنهم فدعى اسم المكان حُرمه »(٣) .

عدد ٢١ : ٢ - ٣

---

(١) يقابلها فى الإنجليزية giants أى الجبابرة . ومن هنا نستبين مصدر الأساطير والقصص الشعبية تصف فى غلو طول عوج بن عنق فتزعم أنه كان يحتوى عرض البحر بين قدميه فيقبض على السمكة بيده ويشويها فى عين الشمس .

(٢) هى حاضرة العمونيين فى ذلك الزمان وحاضرة الأردن فى الوقت الحاضر وتعرف باسم عمان .

(٣) أراد واضعو التوراة تسويغ حربهم على الكنعانيين وتبرير ما ارتكبوه فيها من تقتيل وتحريق ونخاسة فاخترعوا قصة ذيلوا بها أسطورة الطوفان ، فحواها أن نوحا عمد بعد انحسار الطوفان إلى زرع بستان من الكروم ، فلما أينع العنب عصره خمرا وشرب فأفرط .

« فسكر وتعرى داخل خبائه . فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجا . فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما . فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير . فقال ملعون كنعان . عبد العبيد يكون لإخوته .

تكوين ٩ : ٢١-٢٧

وأرسل موسى جنوده على أهل مدين(١) يغزونهم فى أعقاب بيوتهم ويقوضونها على رؤسهم .

« وقتلوا كل ذكر وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم . خمسة ملوك مديان . وبلعام(٢) بن بعور قتلوه بالسيف . وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم ... وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم . وأتوا إلى موسى وألعازار الكاهن وإلى جماعة بنى إسرائيل بالسبى والنهب والغنيمة إلى المحلة » .

عدد ٣١ : ٧ — ١٢

لقد ذبحوا من أهل مدين قرابة ٥٠,٠٠٠ نفس(٣) .

---

(١) هم ، فيما يزعمون ، ذرية مديان بن ابراهيم فهم من أدنى أقرباء بنى إسرائيل ، وهم الذين آووا موسى عندما لجأ أليهم بعد فعلته التى فعلها بقتله أحد المصريين الذين آووه قبلهم ، فقد نشأ بين المصريين ونعم بالعيش الطيب فى قصر فرعون ، ثم هجر مصر إلى مدين حيث أمضى فيها زمناً آخر ثم رجع إلى مصر يهوى إليها بضرباته البشعة ثم رجع إلى مدين ليفشى فيها الموت والدمار ، فقد جاءت الآن نوبتهم ليتلقوا اعتراف موسى بالجميل.

(٢) ويدعى فى القرآن الكريم لقمان (لقم = بلع) وهو من أنبياء المؤابيين الوثنيين الذين طالما شن بنو إسرائيل الحرب عليهم . دعاه بالاق ملك موآب ليلعن له بنى إسرائيل الزاحفين على بلاده فأبى وباركهم بين يديه ، بيد أن الإسرائيليين لم يذكروا له هذا الجميل وقتلوه بالسيف .

وقد ذاعت شهرة الحوار الطريف الذى دار بين بلعام وأتانه . وحاكاه بعض المسلمين فلفقوا حديثاً زعموا أنه جرى بين النبي محمد ص وخروف مسموم قدمه له يهود خيبر .

(٣) مع أن خسائر بريطانيا العظمى فى معركة واترلو لم تزد على ١٧٢٤ رجلا .

وسبوا ضعفى هذا العدد وغنموا نحو ٨٠٠,٠٠٠ رأس من ذوات الأربع ، ولكن تلك الألوف الكثيرة من الجثث المتناثرة فى حومة الوغى لم تشف قرم(١) موسى وتعطشه إلى الدماء(٢) .

« فسخط موسى على وكلاء الجيش رؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من جند الحرب . وقال لهم موسى هل أبقيتم كل أنثى حية . . فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال . وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلوها » .

عدد ٣١ : ١٤ — ١٧

أما العذارى ، فقد استحياهن ليحتضن قتلة آبائهن وإخوتهن .

« وكان النهب فضلة الغنيمة التى اغتنمها رجال الجند من الغنم ست مئة وخمسة وسبعين ألفا . ومن البقر اثنين وسبعين ألفا . ومن الحمير واحدا وستين ألفا ، ومن نفوس الناس من النساء اللواتى لم يعرفن مضاجعة ذكر جميع النفوس اثنين وثلاثين ألفا . ونفوس الناس ستة عشر ألفا وزكاتها للرب اثنين وثلاثين نفسا فأعطى موسى الزكاة رفيعة الرب لألعازار الكاهن كما أمر الرب موسى » .

عدد ٣١ : ٣٢ — ٤١

---

(١) قرم الرجل إلى اللحم : اشتدت شهوته .

(٢) وقد نسى كاتب سفر القضاة أن زميله كاتب سفر العدد أباد المديانيين وأفناهم عن بكرة أبيهم ، فسلطهم — بعدما اخترمهم الموت — على الإسرائيليين لأن هؤلاء لم يحسنوا سيرتهم ويذعنوا لأوامر الكهنة .

« وعمل بنو إسرائيل الشر فى عينى الرب فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين فاعتزت يد مديان على إسرائيل » .

قضاة ٦ : ١ — ٢

وهكذا حظى الكهنة الفاسقون باثنتين وثلاثين من أجمل العذارى توزعوهن فيما بينهم كما توزعوا البقر ونحوه من غنائم الحرب.

وسن موسى على اليهود سنة إبادة الشعوب المسالمة التى يصادفونها فى طريقهم .

« متى أتى الرب إلى الأرض التى أدنت داخل إليها لتتملكها وطرد شعوبا كثيرة من أمامك الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع شعوب أكثر وأعظم منك ودفعهم الرب الهك أمامك وضربتهم فإنك تحرمهم . . . وتأكل كل الشعوب الذين الرب الهك يدفع إليك . لا تشفق عيناك عليهم » .

تثنيه ٧ : ١-١٦

وقال نفعنا الله برأيه

« حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك . وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها. وإذا دفعها الرب الهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب الهك . هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا . وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب الهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما بل تحرمها تحريما » .

تثنية ٢٠ : ١٠ - ١٧

وجملة القول أنه وضع نصب أعين المقاتلة من بنى إسرائيل هدفين رئيسيين هما إبادة الشعوب المتاخمة واستعباد ما يليها من الشعوب . وبذلك تتحول الجيوش اليهودية إلى بعثات للتقتيل والتدمير وللاستعباد والنخاسة ، وكلها أعمال قبيحة كريهة يحرمها ما قررته المواثيق الدولية للانسان من حقوق .

١٥

موتـه

قضى الأخوان الزعيمان نحبهما فى برية سيناء ، فأما منية هرون فكانت بجبل حور .

« فصعد هرون الكاهن إلى جبل هور حسب قول الرب ومات هناك فى السنة الأربعين لخروج بنى إسرائيل من أرض مصر(١) » .

عدد ٣٣ : ٢٨

وأما موسى فقد فاضت نفسه فى أرض موآب(٢) دون أن يعبر

---

(١) وفى رواية أخرى أنه مات فى موسير

« وبنو إسرائيل ارتحلوا من آبار بنى يعقان إلى موسير. هناك مات هرون وهناك دفن . فكهن العازار ابنه عوضاً عنه »

تثنية ١٠ : ٦

(٢) نقل الطبرى فى الجزء الأول من كتابه تاريخ الأمم والملوك عن عن ... عن عبد الله مسعود وعن ناس من أصحاب النبى أنهم قالوا :

أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى إنى متوف هارون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل فإذا هما بشجرة لم ير مثلها وإذا هما ببيت مبنى وإذا هما فيه بسرير عليه فرش وإذا ريح طيبة ، فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه فقال يا موسى إنى لأحب أن أنام على هذا السرير ، قال له موسى : نم عليه . قال إنى أخاف أن يأتى رب هذا البيت فيغضب على. قال له موسى لاترهب . أنا أكفيك رب هذا البيت فنم . قال ياموسى بل نم معى فإن جاء رب البيت غضب على وعليك جميعاً . فلما ناما أخذ هارون الموت فلما وجد =

. . . .

= حسه قال ياموسى خدعتنى. فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير إلى السماء فلما رجع موسى إلى بنى إسرائيل وليس معه هارون قالوا إن موسى قتله وحسده لحب بنى إسرائيل له ، وكان هارون أكف عنهم وألين لهم من موسى وكان فى موسى بعض الغلظ عليهم ، فلما بلغه ذلك قال لهم ويحكم كان أخى أفترونى أقتله ، فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله فنزل بالسرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فصدقوه .

ثم إن موسى بينما هو يمشى ويوشع فتاه إذ أقبلت ريح سوداء فلما نظر إليها يوشع ظن أنها الساعة والتزم موسى وقال تقوم الساعة وأنا ملتزم موسى نبى الله فاستل موسى من تحت القميص وترك القميص فى يد يوشع ، فلما جاء يوشع بالقميص أخذته بنو إسرائيل وقالوا قتلت نبى الله. قال لا والله ما قتلته ولكنه استل منى فلم يصدقوه وأرادوا قتله ، قال فاذا لم تصدقونى فأخرونى ثلاثة أيام فدعا الله فأتى كل رجل ممن كان يحرسه فى المنام فأخبر أن يوشع لم يقتل موسى وأنا قد رفعناه إلينا فتركوه .

ونقل (الطبرى) عن عن ... عن أبى هريرة أنه قال :

قال رسول الله ص . إن ملك الموت كان يأتى الناس عيانا حتى أتى موسى فلطمه ففقأ عينيه قال فرجع فقال يارب إن عبدك موسى فقأ عينى ولولا كرامته عليك لشققت عليه فقال أنت عبدى موسى فقل له فليضع كفه على متن ثور فله بكل شعرة وارت يده سنة . خيره بين ذلك وبين أن يموت الآن . قال فأتاه فخيره فقال له موسى فما بعد ذلك قال الموت قال فالآن إذن . قال فشمه قبض روحه . قال فجاء بعد ذلك إلى الناس خفياً .

ونقل عن عن . . . عن ابن اسحاق أنه قال :

كان موسى صفى الله قد كره الموت وأعظمه ، فلما كرهه أراد الله تعالى أن يحبب اليه الموت ويكره إليه الحياة فحولت النبوة إلى يوشع بن نون فكان يغدو عليه ويروح فيقول له موسى : يا نبى الله ، ما أحدث الله إليك ، فيقول له يوشع بن نون يانبى الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة ، فهل كنت أسألك عن شىء مما أحدث الله إليك حتى تكون أنت الذى تبتدىء به وتذكره فعلا تذكر شيئاً . فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت . =

الأردن إلى الأرض التى تفيض لبنا وعسلا ، فقد أبى الله عليه ذلك إذ كان ينقم منه ما بدا على بنى إسرائيل من قلق خلال تجوالهم على غير هدى وما أعربوا عنه من ضيق بقلة الغذاء ومن عوز إلى الكساء وتذمرهم من الحالة التى كانوا عليها بوجه عام .

« ولكن فى هذا الأمر لستم واثقين بالرب الهكم . السائر أمامكم فى الطريق ليلتمس لكم مكانا لنزولكم فى نار ليلا ليريكم الطريق التى تسيرون فيها وفى سحاب نهارا . وسمع الرب صوت كلامكم فسخط وأقسم قائلا . لن يرى إنسان من هؤلاء الناس من هذا الجيل الشرير الأرض الجيدة التى أقسمت أن اعطيها لآبائكم . ما عدا كالب بن يفنة . هو يراها وله أعطى الأرض التى وطئها ولبنيه لأنه قد اتبع الرب تماما . وعلى أيضاً غضب الرب بسببكم قائلا وأنت أيضاً لا تدخل إلى هناك . يشوع بن نون الواقف أمامك هو يدخل إلى هناك شدده لأنه هو يقسمها لإسرائيل[1] »

تثنية ١ : ٣٢ — ٣٨

= وقال الشهرستانى فى كتابه « الملل والنحل » يتحدث عن فكرة « الرجعة » عند اليهود :

وأما جواز الرجعة فإنما وقع لهم فى أمرين ، أحدهما حديث عزيز إذ أماته الله مائة عام ثم بعثه ، والثانى حديث هارون عليه السلام إذا مات فى التيه وقد نسبوا موسى إلى قتله ، قالوا حسده لأن اليهود كانت إليه أميل منهم إلى موسى . واختلفوا فى حال موته ، فمنهم من قال مات وسيرجع ومنهم من قال غاب وسيرجع .

(١) بيد أن ثمة رواية أخرى تقول إن مبعث غضب يهوه على موسى هو أنه غفل عن أن يقدس الرب بالماء .

« [illegible]ب لموسى اصعد إلى جبل عباريم هـذا وانظر الأرض التى أعطيت =

. . . .

= بنى إسرائيل — ومتى نظرتها تضم إلى قومك أنت أيضاً كما ضم هرون أخوك لأنكما فى برية صين عند مخاصمة الجماعة عصيتما قولى أن تقدسانى بالماء أمام أعينهم » .

وقد أشير إلى هذه الحادثة قبل ذلك فى قولهم

« وكلم الرب موسى قائلا خذ العصا واجمع الجماعة أنت وهرون أخوك وكلما الصخرة أمام أعينهم أن تعطى ماءها فتخرج لهم ماء من الصخرة وتسقى الجماعة ومواشيهم . فأخذ موسى العصا من أمام الرب كما أمره . وجمع موسى وهرون الجمهور أمام الصخرة فقال لهم أسمعوا أيها المردة . أمن هذه الصخرة نخرج لكم ماء . ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاه مرتين فخرج ماء غزير فشربت الجماعة ومواشيها : فقال الرب لموسى وهرون من أجل أنكما لم تؤمنا بى حتى تقدسانى أمام أعين بنى إسرائيل لذلك لا تدخلان هـذه الجماعة إلى الأرض التى أعطيتهم إياها » .

عدد ٢٠ : ٧ ـ ١٢

ونلاحظ هنا

١ — أن تلك الجماعة التى كان يتحدث إليها والتى استطاع أن يسقيها هى ومواشيها بضربة عصا يبلغ عددها ٠٠٠ر٠٠٠ر٣

٢ — أنه أخذ العصا من أمام الرب .

٣ — أن خطأه هنا هو — فيما يبدو — أنه قرع الصخرة وتمم بألفاظ غير مفهومة بدلا من أن يقتصر على أن يأمر الصخرة باسم الرب أن تنفجر ماء .

١٦

الرقم ٤٠

وقد عمر موسى حتى استتم له من العمر مئة وعشرون سنة . وتنقسم حياته ثلاث مراحل دامت كل منها ٤٠ سنة(١) بالتمام والكمال .

---

(١) أكثر الكتاب المقدس من استعمال رقم ٤٠ فنحن نجد فى قصة الطوفان — مثلا — أنه .

« كان المطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة » .

تكوين ٧ : ١٢

« وكان الطوفان أربعين يوماً على الأرض »

تكوين ٧ : ١٧

« وحدث من بعد أربعين يوما أن نوحا فتح طاقة الفلك التى كان قدعملها » .

تكوين ٨ : ٦

ونجد فى قصة خروج اليهود من مصر أن موسى ضل هو وقومه فى صحراء سيناء ٤٠ عاما لم يذوقوا خلالها غير المن

(خروج ١٦ : ٣٥)

وأنه صعد فى الجبل حيث لبث ٤٠ نهاراً و ٤٠ ليلة

(خروج ٢٤ : ١٨)

ولبث وقته أجمع طاوياً يصيب لقمة من طعام ولا حسوة من شراب

(تثنية ٩ : ٩)

وكرر ذلك بعد كسره اللوحين الإلهيين بأن صام ٤٠ يوما أخرى

(تثنية ٩ : ١٨)

ونجد ، عندما نطالع سير القضاة ، الذين حكموا بنى إسرائيل وخلصوهم من أعدائهم قبل عهد الملوك ، أن :

. . . .

= عثنيئيل قتل ملك أرام (سوريا)

« واستراحت الأرض أربعين سنة »

قضاة ٣ : ١١

وفتك جدعون بأهل مدين

« واستراحت الارض أربعين سنة فى أيام جدعون »

قضاة ٨ : ٢٨

واغتال أهود عجلون ملك موآب وأتبع ذلك بحملة شعواء على الموآبيين فأهلك منهم ١٠٫٠٠٠ رجل

« واستراحت الأرض ثمانين سنة »

قضاة ٣ : ٣٠

أى ٤٠ × ٢

وأذل الفلسطينيون بنى إسرائيل بعد موت يفتاح الجلعادى ومن تبعوه

« وساموهم الخسف أربعين سنة حتى خلصهم شمشون . ثم عاد بنوإسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب فدفعهم الرب ليد الفلسطينيين أربعين سنة » .

قضاة ١٣ : ١

هذا ، وقد لفظ عالى أنفاسه عندما تناهت إليه أنباء الهزيمة التى حاقت بقومه وهى التى بلغ من فداحتها أن الأعداء استولوا على تابوت الله . وكان موته (عالى) بعد أن

« قضى لإسرائيل ٤٠ سنة » .

١ صموئيل ٤ : ١٨

وسئم بنو إسرائيل حكم القضاة واستشراء الفساد على عهدهم

« ومن ثم طلبوا ملكا فأعطاهم الله شاول بن قيس رجلا من سبط بنيامين أربعين سنة » .

أعمال الرسل ١٣ : ٢١

وخلفه أبنه إيشبوشت

« وكان إيشبوشت بن شاول ابن أربعين سنة حين ملك على إسرائيل »

٢صموئيل ٢ : ١٠ =

. . . .

= ونازعه داود على الملك وفاز به

« كان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك وملك أربعين سنة »

٢صموئيل ٥ : ٤

وشن داود الحرب على أرام (سوريا) وأثخن فيهم قتلا .

« وقتل داود من أرام سبع مئة مركبة وأربعين ألف فارس »

٢صموئيل ١٠ : ١٨

أو فى رواية أخرى

« وقتل داود من آرام سبعة آلاف مركبة وأربعين ألف راجل »

١ أخبار الأيام ١٩ : ١٨

وملك سليمان مثل المدة التى تنسم فيها والده العرش

« وكانت الأيام التى ملك فيها سليمان فى أورشليم على كل إسرائيل أربعين سنة »

١ ملوك ١١ : ٤٢

وكان جلالته يغالى فى اقتناء الجياد الفارهة .

« وكان لسليمان أربعون ألف مذود لخيل مركباته وأثنا عشر الف فارس »

١ ملوك ٤ : ٢٦

ويرى كتاب أخبار الأيام أن عدد المذاود هذا لا يتناسب وعدد الفرسان ، ولذلك كتبوا :

« وكان لسليمان أربعة آلاف مذود خيل ومركبات واثنا عشر الف فارس »

٢ أخبار ٩ : ٢٥

وهرب النبى إيليا (الذى ارتفع إلى السماء حيا) من إسرائيل ميمما صوب سيناء دون أن يحتقب معه زادا يتبلغ به فى الطريق

« ثم عاد ملاك الرب ثانية فمسه وقال قم وكل لأن المسافة كثيرة عليك . فقام وأكل وشرب وسار بقوة تلك الأكلة أربعين نهاراً واربعين ليلة إلى جبل الله حوريب » .

١ ملوك ١٩ : ٧ — ٨

ويقتضى سفر الملوك نبأ الذين تعاوروا سرير الملك فى مملكة يهوذا ، فيقول : =

المرحلة الأولى : تنشئته فى كنف فرعون واستبصاره فى مبادىء فلسفة التوحيد وإلمامه بنظام الكهانة وفنون الشعوذة والسحر . وقد انتهت تلك المرحلة بقتله أحد المصريين الأقحاح وفراره إلى مدين .

المرحلة الثانية : لجوءه إلى مدين وإصهاره إلى كاهنها الأكبر وارتداده إلى دين أجداده ، وإعداده نفسه للزعامة الدينية (النبوة) . وقد انتهت تلك المرحلة بعودته إلى مصر وإنزاله الضربات المتتالية بأهلها الوادعين .

المرحلة الثالثة : مرحلة التيـه فى سيناء ، وفيها اختص أسرته وذراريها بالكهانة وما تسبغه الكهانة من جاه وما تنوء من أسلاب . وقد جرد نفسه طوال تلك السنين لاستئصال شأفة الأحرار الذين ضاقوا ذرعا بمسلكه . وقد انتهت تلك المرحلة بانتهاء حياته فى تلك الفلاة القاحلة مغضوبا عليه من إلهه وشعبه .

= « فى السنة السابعة لياهو ملك يهوآش . ملك أربعين سنة فى أورشليم »

٢ ملوك ١٢ : ١

وهلم جرا . ولا يخلو « العهد الجديد أيضاً من مواطن يستعمل فيها الرقم ٤٠ ومن ذلك حديثه فى تجربة الشيطان ليسوع المسيح ، فقد لبث يسوع ٤٠ يوماً و ٤٠ ليلة يتأهب لاجتياز هذه التجربة بنجاح

« فبعد ما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً »

متى ٤ : ٢

ودامت التجربة ٤٠ يوماً

« وكان هناك فى البرية أربعين يوما يجرب من الشيطان »

مرقس ١ : ١٣

كان موسى فى حياته مثالا نموذجيا للإله الكاهن الساحر(١) .

«فحمى غضب الرب على موسى وقال أليس هرون اللاوى أخاك — أنا أعلم أنه هو يتكلم ... وهو يكون لك فما وأنت تكون له إلها »

خروج ٤ : ١٤ — ١٦

ومات موسى فواراه يهوه التراب بيديه القدسيتين ، واشتجر نزاع بين رئيس الملائكة ورئيس الشياطين، كل منهما يريد أن يتسلم جثمانه

« وأما ميخائيل رئيس الملائكة فلما خاصم إبليس محاجا عن جسد موسى لم يجسر أن يورد حكم افتراء بل قال لينتهرك الرب » .

يهوذا(٢) : ٩

(١) كان السحرة فى بعض الأعصر الغابرة لايقنعون بأن يكونوا ملوكا بل يدعون الألوهية أيضاً ، وكانت شعوبهم تتوقع منهم المعجزات وتعزو إليهم كل ما يصيبهم من خير ، فهم الذين يستدرون المطر ويفشون الغلات فى الحقول ويمدون الجيوش بالنصر ، أما إذا استشرى الجفاف أو أوف الزرع أو هزم الجيش فإن الساحر يلقى تبعة ذلك على الرعية ويجازيها على معصيتها للإله بإيقاع العقوبات البدنية والمغارم المالية ، فيفرض عليها الصيام الطويل والتضحيات الوافرة تكفيراً عما جنت أيديهما .

لقد كان الرعيل الأول من ملوك بابل يدعون الألوهية ، فكانت المعابد تقام لتمجيد أشخاصهم وهم بعد أحياء . وكانت الأضحيات تقرب لهم بين أيديهم . وكذلك كان الأمر فى مصر ، وقد خبر موسى ذلك بنفسه . وكان ملوك المكسيك يقسمون عند تبوئهم العرش أن يجعلوا الشمس تشرق والسحب تمطر والأنهار تفيض والأرض تجود بالغلات .

(٢) يهوذا هى إحدى رسائل « العهد الجديد » . ولم يرد لقصة النزاع بين رئيس الملائكة ورئيس الشياطين ذكر فى « العهد القديم » لأن بنى إسرائيل لم يكونوا يؤمنون بالثواب والعقاب فى يوم آخر ، ولم يتراق إلى مسامعهم شىء مما يقال فى موضوع الجنة والنار والملائكة والشياطين إلا قبل زمن المسيح بوقت يسير .

١٧

خليفة موسى

استخلاف موسى على عرش الملك ومحراب النبوة خادمه وصبيه يشوع بن نون .

« وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا موسى عبدى قد مات . فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التى أنا معطيها لهم أى لبنى إسرائيل(١) . كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى . من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم » .

يشوع ١ : ١ — ٤

ولم يضع يشوع الوقت بل بادر إلى إصدار الأمر اليومى :

« هيئوا لأنفسكم زادا لأنكم بعد ثلاثة أيام تعبرون الأردن هذا لكى تدخلوا فتمتلكوا الأرض » .

يشوع ١ : ١١

وأنى لهم الزاد وقد لبثوا يطعمون المن حتى وطئوا أرض كنعان، وكان من خصائص المن أن يذوب إذا بات وتذهب ريحه سدى . على أن يشوع لم يقعد ساكنا هذه الأيام الثلاثة، بل إنه بادر فأرسل

(١) يتضح من هذا الأسلوب أن الله كان يشرح كلامه لنبيه خيفة أن يكون قد أساء الفهم .

عينين من عيونه يتجسسان أرض الموعد . ووقع الدسيسان الميمونة الطالع فى مدينة أريحا على بغى محترفة ضمتهما إلى مضجعها .

« فذهبا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب واضطجعا هناك » .

يشوع ٢ : ١

وقد باعتهما تلك الزانية جسدها ووطنها ودينها ثم يسرت لهما أن يعودا سالمين(١) .

وحرص يشوع مرة أخرى على ألا يضيع الوقت .

« فبكر يشوع فى الغد وارتحلوا من شطيم واتوا إلى الأردن هو وكل بنى إسرائيل وباتوا هناك قبل أن عبروا » .

يشوع ٣ : ١

وأتخذ الرب مكانه على رأس القوى المحاربة ، لم يكن ممتطيا صهوة جواد ولكن كان قابعا فى صندوق . وأغرى الجند باتباع قائدهم مهما

---

(١) وقد حظيت تلك البغى بتقدير اليهود والمسيحيين على السواء ، لأنها مالأت بنى إسرائيل على قومها من العرب أهل البلاد الأصلاء . وحاول بعضهم أن يرفع من قدرها ويهون من عارها فنعتها بأنها أم متوى أى صاحبة فندق، وهى مهنة لم يكن لذلك العصر بها عهد ، بل إن اللغة العبرية لم تكن حينئذ تحتوى على لفظ يفيد هذا المعنى .

وقد زفت راحاب هذه إلى سلمون فولدت له بوعز

« وسلمون ولد بوعز من راحاب »

متى ١ : ٥

وبذلك غدت راحاب (وهى تكتب أحيانا راخاب بالخاء المعجمة) جدة ليسوع المسيح .

تكن المخاطر التى تعترض سبيلهم على أن يدعوا بينهم وبينه شقة تربى على كيلو متر .

« ولكن يكون بينكم وبينه مسافة نحو ألفى ذراع بالقياس »

يشوع ٣ : ٤

وعبر يشوع وجنوده نهر الأردن دون أن ينال أحدا منهم بلال ، ويبدو أن الكهنة أبعدوا فى المسير غير فاطنين إلى أنهم قد نأوا بالرب إلى مكان لا يتسنى له فيه أن يتصل اتصالا مباشرا بنبيه يشوع ، فلم يكن له مندوحة عن أن يفضى إليه بمشيئته عن يد رسول روحانى يدعو نفسه « رئيس جند الرب »

«أنا رئيس جند الرب . الآن أتيت . فسقط يشوع على وجهه إلى الأرض وسجد . وقال له بماذا يكلم سيدى عبده فقال رئيس جند الرب ليشوع اخلع نعلك من رجلك لأن المكان الذى أنت واقف عليه مقدس . ففعل يشوع ذلك »

يشوع ٥ : ١٤ — ١٥

وعاد رئيس جند الرب أدراجه بعد أن أبلغ نبى الرب تلك الرسالة الخطيرة .

وفتح يشوع(١) مدينة حبرون ودمرها بالنار وقتل أهلها هى ولواحق ومنها قرية دبير .

---

(١) وفى رواية أخرى أن الذى فتح تلك البلاد إنما هو كالب بن يفنه يساعده عثنيئيل ابن أخيه .

« وطرد كالب من هناك » أى من حبرون « بنى عناق الثلاثة ... وصعد من

« ثم صعد يشوع وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى حبرون وحاربوها وأخذوها وضربوها بحد السيف مع ملكها وكل مدنها وكل نفس بها . لم يبق منها شاردا حسب كل ما فعل بعجلون فحرمها وكل نفس بها . ثم رجع يشوع وكل إسرائيل معه إلى دبير وحاربها . وأخذها مع ملكها وكل مدنها وضربوها بحد السيف وحرموا كل نفس بها . لم يبق شاردا »

يشوع ١٠ : ٣٦ — ٣٩

« وجاء يشوع فى ذلك الوقت وقرض العناقيين من الجبل من حبرون ومن دبير ومن عناب ومن جميع جبل يهوذا ومن كل جبل إسرائيل . حرمهم يشوع مع مدنهم » .

يشوع ١١ : ٢١

وكانت أورشليم أيضاً بين البلاد التى فتحها(١) يشوع .

= هناك إلى سكان دبير وكان اسم دبير قبلا قرية سفر . وقال كالب من يضرب قرية سفر ويأخذها أعطيه عكسة ابنتى امرأة . فأخذها عثنيئيل بن قناز أخو كالب فأعطاه عكسه ابنته امرأة »

يشوع ١٥ : ١٤ ـ ١٧

(١) على أنه من الثابت أن اليهود لم يفتحوا تلك البلاد إلا بعد موت يشوع « وكان بعد موت يشوع أن بنى إسرائيل سألوا الرب قائلين من منا يصعد إلى الكنعانيين أولا لمحاربتهم »

قضاة ١ : ١

« وحارب بنو يهوذا أورشليم وأخذوها وضربوها بحد السيف وأشعلوا المدينة بالنار . وبعد ذلك نزل بنو يهوذا لمحاربة الكنعانيين سكان الجبل والجنوب والسهل.

« وهؤلاء هم ملوك الأرض الذين ضربهم يشوع وبنو إسرائيل فى عبر الأردن غربا . . . ملك أورشليم واحد . ملك حبرون واحد . . . ملك جازر واحد . ملك دبير واحد » .

يشوع ١٢ : ٧ — ١٣

وذكر إقامة بنى يهوذا فى أورشليم .

« وأما اليبوسيون الساكنون فى أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بنى يهوذا فى أورشليم إلى هذا اليوم »

يشوع ١٥ : ٦٣

وسار يهوذا على الكنعانيين الساكنين فى حبرون . . . وسار من هناك على سكان دبير » .

قضاة ١ : ٨ ـ ١١

نرى أن يشوع يعد جازر بين البلاد التى ضربها بحد سيفه على حين أن الإسرائيليين لم يقووا على طرد الكنعانيين الساكنين هناك .

« فلم يطردوا الساكنين فى جازر . فسكن الكنعانيون فى وسط إفرايم فى وسطه فى جازر » .

قضاة ١ : ٢٩

لقد استعصت المدينة على بنى إسرائيل ، فلما أصهر سليمان إلى فرعون فتحها فرعون وأهداها إلى ابنته لتقدمها إلى زوجها صداقاً (دوطه) .

« وصعد فرعون ملك مصر وأخذ جازر وأحرقها بالنار وقتل الكنعانيين الساكنين فى المدينة وأعطاها مهرا لابنته امرأة سليمان » .

١ ملوك ٩ : ١٦

ومن المعلوم أن بنى يهوذا لم يوطنوا بأورشليم قبل عهد داود فقد كان داود أول يهوذى استولى على أورشليم

« وذهب الملك ورجاله إلى أورشليم إلى اليبوسيين سكان الأرض . فكلموا داود قائلين لاتدخل إلى هنا ما لم تنزع العميان والعرج . أى لايدخل داود إلى هنا»

٢ صموئيل ٥ : ٦

وقصارى القول أن يشوع دأب فى تخريب البلاد ونهبها على نحو منقطع النظير، حتى إذا ما أتم رسالته الهدامة ثوى فى قبره، ولكنه كان رفيقا بنا كسيده موسى فلم تطوّع له نفسه أن يتركنا دون أن يزودنا بوصف لمواراته التراب ويدلى إلينا بحديث فى أمر الشيوخ الذين عاشوا بعده.

« وكان بعد هذا الكلام أنه مات يشوع بن نون عبد الرب ابن مئة وعشر سنين فدفنوه فى تخم ملكه فى تمنة سارح التى فى جبل إفرايم شمالى جبل جاعش. وعبد إسرائيل الرب كل أيام يشوع وكل أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع والذين عرفوا كل عمل الرب الذى عمله لإسرائيل ».

يشوع ٢٤ : ٢٩ — ٣١

تم الكتاب

مؤلفات ومترجمات *

عصام الدين حفنى ناصف

(١٩٠٠ — ١٩٦٩)

١ — النور يضىء فى الظلمة (رواية مترجمة عن الألمانية)
تأليف ليو تولستوى / مطبعة التقدم ١٩٢٦

٢ — النشوء والارتقاء أو مصير الإنسانية ونشوء المدنية (مترجم عن الألمانية) تأليف هيرمن كلاتش / مطبعة الشباب ١٩٢٧

٣ — الزوج الأبدى (رواية مترجمة عن الألمانية)
تأليف دستويفسكى / دار العصور ١٩٣٠

٤ — التجديد الاجتماعى — أبحاث فى شئون العمال والفلاحين / مطبعة السفير بالاسكندرية ١٩٣١

٥ — متابعة التجديد الاجتماعى — أبحاث فى الاشتراكية وحقوق العمال / مطبعة السفير بالاسكندرية ١٩٣١

٦ — مبادىء الاشتراكية / مطبعة أبو الهول ١٩٣٣

٧ — حركة العمال والاشتراكية الديمقراطية (مترجم عن الألمانية)
تأليف باول كامفماير / دار الترقى ١٩٣٣

٨ — المسألة الاشتراكية / مطبعة أبى الهول ١٩٣٣

٩ — البترول — قصة عن كفاح العمال (مترجم عن الإنجليزية)
تأليف ابتون سنكلير / دار الترقى ١٩٣٧

---

* ١ — الكتب من ١ ـ ١٥ نفذت جميعاً ومن ١٦ ـ ٢٠ توجد بالمكتبات
٢ — الكتب من ٢١ ـ ٢٤ لا يوجد نسخ منها إطلاقاً وبالتالى لم نتمكن من إعطاء بيانات عن الناشر أو المطبعة أو سنة صدورها.
٣ — دور النشر أو المطابع المذكورة، جميعها بالقاهرة، وماعدا ذلك مذكور مكان الطبع أو النشر أمام كل كتاب.

١٠ — عاصفة فوق مصر (رواية) / مطبعة فتى النيل ١٩٣٩

١١ — إخفاق الفاشية / مطبعة لجنة التأليف ١٩٤٣

١٣ — الحياة فى الاتحاد السوفيتى (مترجم عن الانجليزية)
تأليف موريس دب / مطبعة مصر ١٩٤٥

١٣ — موسكو برلين لندن — تاريخ سياسى لفترة ماقبل الحرب العالمية الثانية / مطبعة المقتطف ١٩٤٦

١٤ — نظرية التطور / مطبعة مصر ١٩٥٢

١٥ — المستذلون والمهانون (رواية مترجمة عن الألمانية فى جزئين)
تأليف دستويفسكى / وزارة الثقافة ١٩٦١

١٦ — الختان ضلالة إسرائيلية مؤذية (مترجم عن الإنجليزية)
تأليف جوزيف لويس / دار مطابع الشعب ١٩٦٥

١٧ — محنة التوراة على أيدى اليهود / مطبعة الرسالة ١٩٦٥

١٨ — سيرة لينين (من سلسلة الفكر السياسى والاشتراكى) —
/ دار الكاتب العربى ١٩٦٨

١٩ — صلة القرآن باليهودية والمسيحية (مترجم عن الألمانية)
تأليف فلهلم رودلف / دار الطليعة - بيروت ١٩٧٤

٢٠ — موسى وفرعون بين الأسطورية والتاريخية
/ دار العالم الجديد ١٩٧٥

٢١ — الاشتراكية الحديثة

٢٢ — لماذا كانت الرأسمالية تعنى الحرب

٢٣ — قصة هنرى الصياد (من أجل فتاة فى محكمة الجمعية السرية)

٢٤ — نوتة فى الاصلاحات

الفهرس

هذا الكتاب

دراسة رائدة ترصد بالتحليل النقدى مهد العنصرية : يهودية التوراة .

فلم تكن اليهودية مجرد دين ينتمى الى عصر انقضى ، بل كانت وما تزال الأساس الفكرى لهدف واحد مشترك يجمع بين عهد يهوه لموسى وعهد بلفور وترومان لوايزمان وبن جوريون ، يجمع بين العنصرية القديمة والصهيونية الحديثة .

فقد استمرت اليهودية لا رغم التاريخ ، ولكن بفضل التاريخ .. تاريخ الرأسمالية الذى توجته باستعمار ليس له مثيل ، لفلسطين .

انها دراسة فى « كتاب الكتب » ، « التوراة » ، و « شعب التوراة » ، و « بلاد التوراة » ... دراسة فى جذور السيطرة .

دار العالم الجديد ـ القاهرة

الثمن ٦٠ قرشاً
٦ ل . ل